فضل العلم

واستحضار النية في طلبه

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

العقيدة

الشيخ لم يراجع التفريغ

فضل العلم
واستحضار النية في طلبه

alanqri1 drangari alanqri

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛
يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

١٧

فضل العلم

واستحضار النية في طلبه

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ مِن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على العبد أن يوفّقه ويصطفيَه؛ ليكون من حملة أكرم علمٍ طَرَق هذه الأرض، وهو العلم الموروث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وهذا العلم -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- في بيانه، وبيان فضله لِمَن أصلح الله تعالى له النية، ووفقه للعمل بهذا العلم، هو -كما سيأتي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ- أفضل الأعمال وأشرفها، وسنتحدث بإذن الله عَزَّوَجَلَّ عن العلم في أقسام ثلاثة:

- **القسم الأول:** يتعلق بحقيقة العلم، وما هو العلم؟!
- **القسم الثاني:** يتعلّق بسوق النصوص، وكلام أهل العلم رحمهم الله تعالى المُتعلّق بفضل العلم.
- **القسم الثالث:** يتعلّق بالآداب التي ينبغي أنْ يكون عليها حملة العلم، وهذا لا شك أنَّه يُمكن أنْ يُطال فيه ويُمكن أنْ يُوجز فيه؛ ولكن بعون الله تعالى سننهج نهج التوسط بحيث لا يُطال إطالةً شديدةً، ولا يُوجز إيجازًا لا يتبيّن به المقام، وأهل العلم رحمهم الله تعالى صنّفوا مُصنّفات نافعةً في العلم نفسه، ومِن أوسعها كتاب -الحافظ المالكي- **ابن عبد البر** -رحمه الله تعالى- سمّاه «**جامع بيان العلم وفضله**»، هو مِن أوسع ما أُلِّف في هذا، وهكذا كتاب **الخطيب البغدادي** -رحمه الله تعالى- كتاب «**الفقيه والمتفقه**»، وكتب سواها، وعلماء السنَّة الذين

يروون بالسند كالبخاري، وأبي داود، والترمذي، وأمثالهم، الغالب أنهم يُفردون أقسامًا للعلم، بيانًا لفضله، وشيء مِن آدابه، يروونها ويُبوِّبون عليها، ومِمَّن توسع في هذا الإمام **عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِمي** صاحب السُّنَن -رحمه الله تعالى-؛ فإنه وضع في «**مُقدّمة السُّنَن**» ما يتعلق بالنبي ﷺ، وما أكرمه الله تعالى به من الآيات؛ ثم شرع بعد ذلك في ذكر أمورٍ متعلقةٍ بالعلم والسُّنة؛ توطِئةً وتقدِمةً لما سيأتي بعدها؛ حيث بدأ بعد ذلك بكتاب الطهارة؛ ثم الصلاة إلى آخر كتابه، فذكر ما يتعلق بآداب وفضائل لِمَن يريد أنْ يحمل هذا العلم، فحرِيٌّ بطالب العلم أنْ يستفيد مِن هذه الكتب، وهي مراجع متوسعةٌ تروي عن النبي ﷺ، وتروي عن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم جملةً وافرةً مما ينبغي أنْ يُلِمَّ به طالب العلم، نبدأ الآن إنْ شاء الله تعالى في ذكر القسم الأول.

القسم الأول

بيان حقيقة العلم

العلم: المراد به العلم الشرعي، وهذا العلم قد بيّن **ابن القيِّم** -رحمه الله تعالى- في «**النُّونية**» حقيقته، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعلمُ معرفةُ الهُدَى بِدَليلِهِ ... ما ذاك وَالتَّقْليدُ مُسْتَويانِ

إِذْ أَجمَعَ العلماءُ أنَّ مُقَلِّدًا ... في النَّاسِ كَالأَعْمى هُما أَخَوانِ

مراده رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ حقيقة العلم الذي وردت به النصوص، ووردت بالثناء على أهله، هو العلم الشرعي وهو أنْ يعرف المرء الهدى بالدليل، فقد يعرف الهدى ويعرف الحقَّ لكن لا يعرف دليله، قال فهذا يُسمى مُقَلِّدًا ولا يُسمى عالمًا؛ لأن العالم هو مَن يعرف العلم بالدليل، «والعلم معرفة الهدى بدليله، ما ذاك والتقليد مستويان!» لأنَّ المُقَلِّد يُقلِّد غيره وقد لا يعرف الدليل، أما الذي وُفِّقَ للعلم فإنه يعرف الهدى ويُدلِّل عليه، فهذا هو الذي يستحق أنْ يُسمى بالعالم، وعلى هذا مَن لم يكن عارفًا بالدليل وإنْ عرَف الحقَّ فإنه يُسمى مُقلِّدًا، وهنا أمرٌ مهمٌ جدًا، لما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعلم معرفة الهدى»، دلَّ ذلك على أنَّ مَن يعرف الباطل والضلال الذي عليه أهل الكفر، وعليه اليهود، والنصارى، والفرق الضالة، فإنه لا يُسمى عالمًا، لأنه يقول: «العلم معرفة الهدى»، وهذا الذي عليه أهل الكفر من أهل المذاهب المعاصرة مثلًا، كالوُجُوديِّين، وعموم الطوائف العَلْمَانِيَّة بأصنافها وفلسفاتها المختلفة، كالشُّيُوعِيَّة البائدة، والمذاهب التي تَنْحَى المَنْحَى الدِّيمُقْراطي، أو اللِّيبْرالي، أو ما قبل ذلك كأقوال المُعْتَزِلَة، والجَهْمِيَّة، والرَّوافِض، والأَشْعَرِيَّة، والماتُرِيدِيَّة أو ما قبل ذلك من أقوال ضُلَّال اليهود، والنصارى، وما عليه أهل الشرك، فهذا ليس علمًا في ذاته؛ لأن العلم هو معرفة الهدى.

ما الشيء الذي يرتبط بالعلم من هذه المذاهب؟!

هو الردُّ والدَّحضُ والإبطال لها، أمَّا أَنْ يوجد أحد يعرف ما عليه أهل الباطل، فهو لم يعرف علمًا؛ وإنَّما عرَف ضلالةً، والله تعالى يقول في مُحْكَم الكتاب في شأن نبيه ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ فالعلم كما قال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم معرفة الهدى»، فمن عرَف هذا الهدى فقد عرَف العلم، فإذا دلَّل عليه فهو العالم، وإذا عرَفه وقلَّد فيه فهو مُقَلِّدٌ، وهذه الأمور تبين لك مسألَة مهمةً حتى لا تضيع الجهود في غير طريق العلم؛ ولهذا نصَّ الإمام **الشافعي** -رحمه الله تعالى- في كتاب «**الوصايا**» فيما نقله صاحبه الربيع، على أن المتكلمين لا يُعَدُّون من أهل العلم، والمتكلمون هم الذين كانوا يَنحَوْن المَنْحَى المعبر عنه بعلم الكلام، وهو ليس بعلم وإن سمّاه أهله علمًا، مما كان عليه المُعْتَزِلَة، والجَهْمِيَّة، ومن خَلَفَهم وجاء بعدهم، يقول **الشافعي** -رحمه الله تعالى-: «لو أنَّ رجلًا أوصى بكتبه مِن العلم، فإنَّ كتب الكلام لا تدخل في الوصية»، **أي:** لو أنَّ رجلًا من أهل العلم الآن عنده مكتبة، وأراد أن يُوقِف هذه المكتبة فقال: «كتبي من العلم وقف على مسجدٍ، أو على موضعٍ يتردد عليه طلبة العلم»، يقول **الشافعي:** «كتب المتكلمين لا تدخل»؛ لأن الكلام ليس بعلم، وقال -أيضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو أنَّ رجلًا أوصى لأهل العلم، فلا يدخل أهل الكلام؛ لأن أهل الكلام ليسوا من أهل العلم»، يقول الرجل أوصى فقال مثلًا: «يُجعَل ثُلُثِي لأهل العلم في مكة»، يقول لا يدخل في هذه الحالة مَن اشتغلوا بالكلام؛ لأن الكلام ليس بعلم والرجل قد أوصى لأهل العلم، قال وأنتم يا معاشر المتكلمين لستُم من أهل العلم فلا تدخلون في الوصية، ونصَّ على هذا الأمر أيضًا **ابن عبد البر** -رحمه الله تعالى- في كتاب «**جامع بيان العلم**»، ونصَّ عليه أيضًا **قِوَام السُّنَّة الأَصْبَهاني الشافعي** في كتابه العظيم «**الحجّة في بيان المحجّة**»، وغيرهم من علماء الأمة أنَّ المتكلمين لا يُعَدُّون من أهل العلم، **لماذا نركز على هذه المسألة؟!**

-**نركز على هذه المسألة**- لأنه ينبغي لطالب العلم أنْ يعرف على أي شيء يُركِّز، حتى يكون سالكًا مسلك أهل العلم، العلم كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ

بِٱلْهُدَىٰ﴾ [التوبة: ٣٣]، الهدى هو الذي بعث الله به محمدًا ﷺ -وقلنا- إنَّ **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «والعلم معرفة الهدى بدليله»، فطالب العلم تنبعث همّته لتَعلُّم هذا العلم؛ حتى لا تضيع جهود هذا الطالب للعلم فيما ليس من العلم، يظن أنَّه على سبيلٍ سلك فيه علمًا وهو في الواقع لم يسلك سبيل العلم؛ لهذا قلنا: إنَّ الضلالات القديمة، والحديثة ليست علمًا، فلو تَبَحَّر أحد فيما عليه اليهود، والنصارى، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، وما عليه الزنادقة المعاصرون من الشيوعيين، والوجوديين، والليبراليين وغيرهم، وصار يتحدث: هؤلاء يقولون كذا، وهؤلاء يقولون كذا، وهؤلاء يقولون كذا، يُقال ليس عندك علم، بل عندك دِرايَة بهذه الضلالات، أفعندك قدرة على دحضها وردها؟ هذا هو العلم، إنْ رددتَ الباطل على أهله منطلقًا من الكتاب والسُّنة، فالردّ هو العلم، أمَّا أنْ تقول يقول أهل الضلال: كذا، وكذا، وتقول فرقة الضَلال الفُلانيَّة: كذا، وتلك الفرقة تقول: كذا، دون أنْ تقدر على الردّ عليهم فلست من أهل العلم بسبيل؛ وإنَّما اجتمعتْ عندك هذه الدراية بما عليه أهل الباطل، فعرَفتَ ما عندهم من باطل ولم تتمكن مِن دحض باطلهم، هذا ما يتعلق بحقيقة العلم.

القسم الثاني

بيان فضل العلم

فالعلم قد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكره النبي ﷺ في مواضع كثيرة مِن أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه، مِن ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؛ ففرّق سبحانه بين هذين الصنفين، الصنف الذي يعلم والصنف الذي لا يعلم، وجعلها تعالى بصيغة الاستفهام، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذه الصّيغة في القرآن فيها بيانٌ لبيان فرق ما بين طرفين اثنين، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، بيانًا لكون الفرق بينهما كبيرًا جدًّا، فذكر الله عزوجل عدم الاستواء هنا بين الذين يعلمون وبين الذين لا يعلمون، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال عزوجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، مع أنّ الذين أوتوا العلم مِن الذين آمنوا؛ لكنّ الله تعالى خصّهم، فدلّ على أنّ لهم مزيّةً، فالإيمان الذي ذُكِر في الصّنف الأول ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ موجود عند أهل العلم؛ لكن الله تعالى ذَكر أهل العلم -أيضًا-: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ بيانًا لكونهم مرفوعي الدرجات، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، أعظم شاهدٍ هو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد: ٤٣]، وأعظم ما يُشهَد عليه هو التوحيد؛ فذكر الله تعالى أعظم ما يُشهَد عليه وهو التوحيد، وأعظم شاهد هو الله، فذكر شهادته سبحانه وتعالى، وشهادة الملائكة، وقرن بها شهادة أهل العلم، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، **فإن قلتَ لِمَ لَمْ يذكر الله شهادة الأنبياء؟!**

فالجواب: أنّ الأنبياء أعلم أهل العلم عليهم الصلاة والسلام، فهم داخلون بلا شك، فأعلم النّاس هم الأنبياء صلّى الله عليهم وسلم؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وَاللهِ لأَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»؛ فأعظم أهل العلم هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويأتينا أنّ العلم الذي لدى أهل العلم إنّما هو ميراث، ورثوه من الأنبياء صلّى الله عليهم وسلم.

أمّا فضل العلم في السُّنّة فهو كثيرٌ جدًّا، والأحاديث الواردة في فضل العلم ذكرها عددٌ غفيرٌ مِن المصنّفين، مِنهم **ابن عبد البر** -كما قلنا- ومِنهم المصنّفون في كتب السُّنّة مِمّن ذكروا بابًا في العلم، أو كتابًا في العلم في أثناء مصنّفاتهم، ومِمّن توسع في ذلك الحافظ **المنذري** -رحمه الله تعالى- في كتابه «**الترغيب والترهيب**»؛ حيث جعل الكتاب متعلّقًا بما وردت النّصوص مرغّبة فيه، وما جاءت النّصوص مرهّبة عنه، فيذكر بابًا في التّرغيب في الإخلاص، ثمّ يُتْبِعه بابٍ في التّرهيب مِن الرياء، وهكذا؛ فلمّا جاء لكتاب العلم ذكر بابًا في التّرغيب في العلم، وتعلُّمه، وطلبه، وتعلِيمه، وذكر نصوصًا منها الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ **والفقه**: هو الفهم، يفقِّهه ربه تعالى في دينه، هذه مِن أعظم علامات إرادة الله تعالى بعبده الخير؛ فالسّالك طلبًا للعلم هذا يُرجَى له أنْ يكون قد أراد الله تعالى به خيرًا، وإذا أراد الله تعالى بالعبد خيرًا، فلا تسأل عن سعادته، وتوفيقه، وتيسير أموره، وصلاح حاله، ورضا الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وحُسن عاقبته في الآخرة، فدلّ على أنّ العلم -كما سيأتي- مِن أعظم ما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وعلي أنه مِن الدلالات على أنّ الله تعالى قد أراد بهذا السّالك للعلم خيرًا.

مِن الأحاديث التي وردت في فضل العلم -أيضًا- ما رواه «**مسلم**» عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**

وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»، في هذا الحديث بيانٌ لكون السالك طريقًا يلتمس فيه تعلّم هذا العلم؛ فإنه يُسهّل له بفضل الله ﷻ طريق إلى الجنة، ثم أخبر ﷺ بأنّ المجتمعين على العلم -ومِن أشرف العلمِ علمُ القرآن- إذا اجتمعوا عليه، يتلون هذا الكتاب، ويتدارسونه بينهم، فإنه يكون لهم هذه الفضائل الكثيرة، تحفّهم الملائكة، تنزل عليهم السّكينة، تغشاهم الرّحمة، يذكرهم الله فيمن عنده، أي مِن الملائكة، فهذه الفضائل كلّها في قوم قد اجتمعوا على التفقّه في العلم، والدّراسة فيه، وهذا الحديث رواه -أيضًا- أبو داود، والترمذي من طريق أبي الدّرداء رضي الله عنه، -وفيه زيادة على ما تقدّم-: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ، بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَهُ بِحَظٍّ وَافِرٍ»**، هذا الحديث العظيم فيه زيادة على ما تقدّم بيانٌ لكون ملائكة الله ﷻ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، تُعظّم قدر صاحب العلم، وتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع مِن سلوكه مسلك العلم، وتعلّمه، ودراسته، وعمله بعلمه، واحتسابه الأجر في ذلك، وتصبّره على مدارسته وفهمه، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، ثم أخبر عن أمرٍ غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو أنْ أُوحي إليه عليه الصلاة والسلام أنّ العالم -**أي**: العالم الشّرعي كما ينبغي أن يُعلم، وكما ترد هذه النصوص في فضل العلم وأهله المراد بها كلّها العلم الشّرعي- ليستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض، فلمّا قال: **«مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ»** ذكر مثالًا لاستغفار ما في البحر، قال: حتى الحيتان في الماء فالله تعالى سخّر هؤلاء جميعًا يستغفرون لهذا العالم: **«وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»**، القمر قد جُعل في

السماء، وجُعل في السماء كواكب كثيرة، ولا مقارنة بين القمر وبين الكواكب؛ فالكواكب لا تكاد تُرى إلا من بُعدٍ شديد، أما القمر فإنه يُضيء، ولا سيّما في ليلة تمام الخامسة عشرة؛ حتى أنه يُكتفى بضوئه في اللّيل، فيكون الفرق بين القمر وبين الكواكب عظيمًا من جهة الإنارة.

والعابد عبادته هو فيها على خير إذا كان على السُّنّة، وعبادته في العموم الأغلب -وليس دائمًا- لا تتعدّى في مصلحتها نفسَه، فإذا صام انتفع هو بالصّيام، إذا صلّى وأطال انتفع هو بصلاته، إذا قرأ وذكر الله انتفع بقراءته وبذكره.

أمّا العالم ففضله وإحسانه وخيره واصل لغيره؛ لهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر الذي يظهر ضوءه، ويمضي عليه المسافرون، كفضل القمر على الكواكب التي لها نور بحسبها، قال: **«وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»** وهذا الموضع مِن الحديث له شأن عظيم جدًّا، فالربّ ﷻ قضى أنْ لا يُورث الأنبياء، كلّ ما ترك الأنبياء صدقة، فالنبي ﷺ لم يُورث، لم تأخذ زوجاته الثمن عليه الصلاة والسلام، ولم يقسّم ماله بين بناته، ولم يعصّبه عمّه العبّاس، جميع ماله صدقة، قال عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُوَرَّثُ مَا تَرَكْنَا ، فَهُوَ صَدَقَةٌ»**؛ لأن الله ما جاء بالأنبياء حتى يجمعوا الدنيا، إنّما أخذ النبي ﷺ منها المقدار الذي يبلّغه فيها، والمتبقّي يكون صدقة، فما الذي ورّثه الأنبياء إذًا؟ ورّثوا العلم.

فلهذا شرُف العلمُ بكونه إرثا يرثه العالم من النبي ﷺ: **«وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ** -أي: هذا الإرث النبوي- **أَخَذَهُ بِحَظٍّ وَافِرٍ»**، هذا هو الحظّ العظيم؛ لا حَظَّ التاجرِ في تجارته، ولا الأمير في إمارته، الحظّ الحقيقي للموفّق الذي يعي الأمور، ويعي آثارها لاحقًا هو في العلم لمن أصلح الله تعالى له نيّته؛ ولهذا قال: « **فَمَنْ أَخَذَهُ؛ أَخَذَهُ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

ومِمّا ورد في فضل العلم قول النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»؛ **الحسد**: المقصود هنا

ليس الحسد المذموم الذي جاء في الحديث: «**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**» مِن شدّة ما تزيل -عياذًا بالله- أمور الحسد بين النّاس، تزيل الحسنات وتدمّر الحسنات تدميرًا، هذا الحسد هو تمنّي زوال النّعمة عن الغير، وهذا حسد مذموم ولا شكّ، يرى رجلًا موفّقا في تجارته يتمنى أنْ يخسر، يرى رجلًا قد عوفي في بدنه يتمنى أنْ يمرض، يرى رجلًا قد وفّق في أسرته وحياته الزوجية يتمنى أنْ يفسد حاله، فلا شكّ أنّ هذا القسم الخبيث، الضّغين، القبيح القصد، الأسود القلب، تُؤكل حسناته كما تأكل النّار الحطب -عياذًا بالله-.

إذًا ما قوله ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ؟**» المقصود الحسد المُسمّى بالغبطة، والغبطة معناها أن تتمنّى لنفسك ما عند أخيك من الخير، مع بقاء الخير عند أخيك؛ لأن فضل الله واسع، فتتمنى أن يوفّقك الله ﷻ لسعةٍ في العلم كما عند من آتاه الله تعالى علمًا، مع تمنّيك أنْ يبقى علمه عنده، فتقول: عسى الله أن يجعلني كفلانٍ من أهل العلم الذي وفّق للعلم، والعمل، والدعوة إلى الله، والذبّ عن السُّنّة، والردّ على الباطل، وعسى الله أن يوفّقه ويزيده من فضله، هذه الغبطة، وهكذا غبطة التّاجر، والتّاجر لا يُغبط، ولا يَغبط التّاجرَ عاقلٌ إلا نوع واحد من التّجار، كما في الحديث: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ**»، **أي**: أن هذا التّاجر الثّري الذي كثر ماله قد وفّق للبحث عن أبواب الخير وصار يُنفد هذا المال فيه، فهذا مسجد يبنيه، وهذا عارٍ يكسوه، وهذا جائع يطعمه، وهذه دروب مِن دروب الخير يعين عليها، هذا هو الذي يُغبط، أمّا المال مِن حيث هو فلا يُغبط صاحبه إلا بهذا القيد، أنْ يتمنّى الإنسان مالًا يستعين به على طاعة الله، أمّا المال مِن حيث هو فلا؛ لأن الإنسان قد يفتن إذا توسّع به المال، وإنّما يتمنّى أنْ يؤتيه الله مالًا يستعمله في طاعته، أمّا مجرد تمنّي المال فلا يفعل هذا عاقلٌ؛ لأن المال تزداد معه المساءلة عند الله، وتشتدّ معه المحاسبة، إلا أنْ يتمنّى هذه الأمنية، أنْ يؤتيه الله مالًا ليستعمله في الحق، فيُسلّط على المال

تسليطًا حتى يهلكه في الحق، قال: «**وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»، والمراد بها ما يتعلق بالحكمة الآتية من جهة الشّرع، يقضي بها على وفق الشّرع، ويعلم العلم على حسب الشّرع، فهذا هو الذي يُغبط، وقال عليه الصلاة والسلام مبيّنًا ثلاثة أقسام مِن النّاس، بيّن مواقفهم في العلم الذي بعثه الله به فقال: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ﷻ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»، أخبر ﷺ أنّ النّاس مع هذا الهدى، ومع هذا العلم الذي بعثه الله به ثلاثة أقسام:

○ **القسم الأول:** وهو أكرم هذه الأقسام، وأطيب هذه الأقسام، الذي شبّهه بالأرض الطيّبة، فالغيث وهو المطر إذا نزل تتفاوت الأراضي في أثر هذا المطر عليها، فأطيب الأراضي هي الأرض التي تقبل المطر وتنبت العشب، فهذه الطائفة الأولى، وهم أهل العلم الذين حفظوا العلم وفهموه، حفظ العلم، حفظ النّصوص وفهمها وفقهها، شبّهه ﷺ بالأرض الطيّبة التي لمّا نزل عليها المطر قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ الكثير، فهذه أفضل أنواع الأراضي؛ يكون فيها الماء، يكون فيها العشب، يكون فيها الكلأ.

○ **القسم الثاني:** مِن الأراضي أجادب الأرض إذا كانت جدبة صلبة لا تنبت الزّرع، لكن هل فيها فائدة؟ نعم، تمسك الماء، فيأتي النّاس ويستقون، وهم مَن حملوا هذه النّصوص، وقَصُروا عن فهمها لكنّهم بلّغوها إلى غيرهم، فصاروا كالأرض التي أمسكت الماء، فورد الناس وشربوا مِن هذه الأرض، وسقَوا أنعامهم، **أي**: أنّهم حفظوا على النّاس هذه النّصوص، وعندهم قصور في فهم وفقه هذه النصوص.

أمّا الطّائفة الأولى فهي طائفة أهل الفقه، والفهم، والعلم، والدّراية، مِمّن وعى النّصوص

وبلّغها عن فهم وعلم.

والطّائفة الثّانية حفظت النّصوص كما تحفظ الأرض الصّلبة الماء، فأوصلت هذه النّصوص وهذا الخير إلى غيرها، وقد قال ﷺ: **«فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»**، وقال: **«فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»** يسمع العلم ويبلّغه غيره، فيكون الذي سمع ممّن لم يحضر أوعى وأفهم مِن الذي حضر وسمع، فهذا الذي بلّغ له فضل ولا شكّ؛ لأنّه نقل الخير، لكنّ الطائفة الأولى أفضل وأزكى.

القسم الثالث: إنّما هي قيعان كالأرض المستوية الملساء التي لا تمسك الماء، وهم الذين لم ينتفعوا -عياذًا بالله- تعالى بالعلم، وهذا يُخاف -كما سيأتينا إن شاء الله تعالى- على نفر كثير ممّن تعلّموا العلوم الشّرعية في مدارس، وفي جامعات، وفي غيرها، ولم ينتفعوا في خاصّة أنفسهم، ولم ينفع الله ﷻ بهم، فذلك الصّنف الثّالث مَن لم يرفع بذلك رأسًا -نسأل الله العافية والسّلامة- ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

الحديث الذي يليه: قوله عليه الصلاة والسلام -**هو حديثٌ مشهور**-: **«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**، هذا الإنسان إذا مات انقطعت الأعمال؛ لأنّه حين كان يقرأ القرآن مثلًا، يختم القرآن كل شهر مرّة، فإذا مات هذا الشهر فليس له ختمة؛ لأنّه انقطع عمله، إذا كان يقول أذكار الصّباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، وأذكار الاستيقاظ، ويسبّح الله تعالى، ويصلي، فإذا مات لم يصلّ ولم يذكر الله انقطع عمله، هذا المراد بانقطاع العمل، وهناك مَن تبقى لهم أعمال حتى بعد مماتهم وهم أصحاب هذه الأصناف، **«صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ»**، والصدقة نوعان:

النوع الأول: صدقة تُستنفد، تعطي فقيرًا فيأكل طعامًا وينتهي فتنتهي هذه الصدقة.

النوع الثاني: وهناك صدقة تجري وتستمر، كالمساجد يبنيها أهلها ويموتون وتبقي هذه المساجد، وهي من أحسن ما يكون في الصدقات الجارية؛ لأنّها تبقى مستمرّة تُصلّى فيها

الصّلوات الخمس، يُقرأ فيها القرآن، يُبلّغ فيها العلم، يُحفّظ فيها الصّغار كتاب الله، يجتمع النّاس فيها على الخير، وعلى التّعاون على البرّ والتّقوى، فهي أفضل الصدقات الجارية، ومِن مزاياها هذه الصّلوات الخمس؛ لأنّها مستمرة، نحوٌ مِن ألفٍ وثمانمائة صلاة في السّنة، يُؤذّن فيها -والأذان له فضله ففيه التّوحيد، وفيه الشّهادة بالرّسالة، وفيه التّكبير، وفيه دعوة الناس- وتُصلّى فيها الصّلوات، فهي صدقة تجري، فيموت الميّت وينقطع عمله مِن جهة صلاته وذكره؛ لكن يبقى هذا الأمر الذي يجري له، **«صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ»** يُبقي كتابًا صنّفه، أو يُبقي مَن علّمهم مِن بعده، فيعلّم أناسًا ويتوفّى، وهؤلاء الذين علّمهم، ونقل إليهم علمًا كثيرًا بلّغوا وعلّموا فيسترسل فضل هذا العلم له، **«أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»** يَبقى له الولد، والولد في اللّغة يشمل الذّكر والأنثى، كما قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، فالأنثى تُسمّى ولدًا في اللّغة؛ لكن في عرف النّاس صاروا يطلقون الولد على الذّكر، ويطلقون على الأنثى البنت، فالذّكور أبناء والإناث بنات، ويشملهم جميعًا اسم الأولاد كما في الآية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾، **«أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»** مِن ذكرٍ أو أنثى، وهذا الحديث رواه مسلم.

وجاء -أيضًا- عن أبي أمامة الباهليّ رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ما رواه التّرمذي أنّ النبي ﷺ قال: **«فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»**، وهذا أجلّ وأكبر من الحديث السابق، لمّا جعل فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي** -وهو رسول الله ﷺ-» ما قال على أزكاكم وأطيبكم، بل قال على أدناكم؛ فدلّ على أنّ للعالم فضلًا عظيمًا، وقال في بقيّته: **«إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»**، فدلّ على أنّ المخلوقات قد سُخِّرت دعاءً لِمَن يعلم النّاس الخير، بما في ذلك النّملة -وهي من أصغر الحشرات وتكون في البرّية- والحوت ويكون في البحر، مع ملائكة السّماوات، ومع مَن

سخّر الله مِن أهل الأرض، كلّ هؤلاء يصلّون على معلّم النّاس الخير، والفضائل الواردة في العلم وأهله كثيرة جدًّا.

لهذا اختار عدد من أهل العلم رحمهم الله أنّ أفضل الأعمال على الإطلاق لِمَن أصلح الله له نيّته هو العلم، يَفضُل جميع الأعمال؛ ولهذا فصلاة النّافلة مع ما فيها مِن الفضل العلمُ أفضل منها؛ لهذا قال الزّهري -رحمه الله تعالى-: «**ما عُبد الله بمثل العلم**»، فأنت تعبد الله بصلاةٍ، بقراءةٍ، بذكرٍ، بصدقةٍ، بصيامٍ، بحجٍ، بجهادٍ في سبيل الله، يقول لا يوجد مثل العلم يُعبد الله عَزَّوَجَلَّ به، وقال سفيان الثّوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما يُراد الله عَزَّوَجَلَّ بشيءٍ أفضل مِن طلب العلم، وما طُلب العلم في زمان أفضل منه اليوم**»، هذا في زمانه -رحمه الله تعالى-، فكيف به في مثل زماننا نحن؟! «ما يُراد الله عَزَّوَجَلَّ بشيء أي ممّا يُخلِص الإنسان به لربّه، ويطلب به مرضاته تعالى «ما يراد الله تعالى بشيء أفضل مِن طلب العلم، وما طُلب العلم في زمان أفضل منه اليوم»، ولمّا ذُكر ليحيى بن يحيى -رحمه الله تعالى- المفاضلة بين الذبّ عن السُّنّة -**والذبّ**: أي الدّفاع عن السُّنّة- والجهاد في سبيل الله، أيّهما أفضل؟! قال: «الذبّ عن السُّنّة»، فقيل له: الرجل يبذل ماله **أي**: في الجهاد، ويتعب نفسه، ويكون الذبّ عن السُنّة أفضل مِن الجهاد في سبيل الله؟! قال: نعم بكثير، ليس فقط هو أفضل من الجهاد في سبيل الله، بل هو أفضل مِن الجهاد في سبيل الله بدرجات كثيرة، هذا مع علّمنا أنّ النبي ﷺ قال: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**» ، مع ذلك فضّل أهل العلمِ العلمَ على الجهاد في سبيل الله، وهذا الذي اختاره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: «**لا يوجد أفضل من طلب العلم لمن أصلح الله له نيّته**»، وهكذا اختاره الشّافعي، واختاره أيضًا الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمة الله تعالى عليهم، ففضّلوه حتى على الجهاد في سبيل الله، مع أنّه جاء في الحديث الصّحيح أنّ النّبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**» ، ومع ذلك ومع هذه النّصوص الكثيرة في الجهاد إلّا أنّ العلم أفضل مِن الجهاد في

سبيل الله.

قال أهل العلم رحمهم الله: «العلم يحتاج إليه كلّ أحد»؛ فالمجاهد يحتاج إلى العلم؛ لأنّ ثمّة أحكامًا كثيرة جدًّا في الجهاد يقف المجاهد أمامها إذا لم يكن من أهل العلم متحيّرًا، ماذا يفعل؟ ما أحكام الأسرى؟ ما أحكام الغنائم؟ ما أحكام مَن لّم يعلم هل هم مِن المسلمين أو مِن غير المسلمين؟ جملةٌ غير قليلة مِن الأحكام يحتاجها المجاهد؛ ولهذا مِن الخلل، والغلط أنْ يُقاد الجهاد مِن قِبَل مَن لا علم عندهم؛ لأنّهم تأتيهم نوازل، يكون فيها في بعض الأحيان إزهاق أرواح، هل تُقتل هذه الأرواح، وتزهق أم لا تُقتل؟ فإنْ أُطلقوا قد يكون الحكم الشّرعي وجوب قتلهم، وإنْ قُتلوا وكان لهم نوعٌ مِن العذر، أو لا يجوز قتلهم، قُتلت أنفس لا يجوز قتلها، وهكذا في مسائل كثيرة.

فلهذا: كلّ أحد يحتاج إلى العلم؛ بمن في ذلك مَن يجاهد في سبيل الله، ويحتاج إلى العلم -أيضًا- الحاكم، فالملوك والسّلاطين يحتاجون إلى العلم؛ لأنّه لا يجوز لهم أنْ يأمروا، وينهَوا، ويعطوا، ويمنعوا، ويكافئوا، ويعاقبوا، إلّا على أساسٍ مِن العلم، فيحتاجون إلى العلم بأنْ يتعلّموه، أو أنْ يكون حولهم مَن يسألونه؛ حتى يخبرهم بحكم الله الذي يعلمه، ممّن يحتاج إلى العلم التّجار في تجاراتهم، والمشترين والباعة في أمور البيع والشّراء، وما يتعلق بالحلال مِن الحرام، وجملة مِن الأحكام المتعلقة بدخول النّاس في معاملات ربويّة وهم لا يشعرون، فليس الرّبا -**أيّها الإخوة**- مقتصرًا على أنْ تقرض أحدًا ألفًا ويردّه عليك ألفًا ومئتين، هناك جملة من الأحكام الرّبويّة في الصّرف ونحوها تُعدّ ربًا، مِن ذلك على سبيل المثال ما يفعله بعض النّاس مِن شراء الذّهب، ولا يعطي صاحب الذّهب المال في الحال، بل يقول له: هذا نصف المبلغ وغدًا أعطيك الباقي، فهذا لا يجوز ؛ لأنّ الذّهب مِن الأموال التي يجب فيها التّقابض يدًا بيد، فإذا لم يكن عندك كامل المبلغ تأتي مِن الغد، أو ترجع إلى بيتك وتتمّ المبلغ، ولا تعطيه بعضًا منه؛ لأنّ النبي ﷺ أمر في الذّهب بالذّهب أنْ يكون يدًا بيد، فإذا أعطيته بعض

المبلغ وكان يعرفك، وقال: اذهب أنا أعرفك أو أثق فيك ستأتي بالمبلغ لاحقًا، فهذا لا يجوز، وتكون قد وقعت في الرّبا وأنت لا تشعر.

لهذا قلنا: إنّ العلم يُحتاج إليه حتى في أمور البيع والشّراء وفي غيرها، وهكذا عوامّ المسلمين يحتاجون إلى أمر العلم في صلاتهم، في صدقاتهم، في وصاياهم، فبعض الوصايا التي كُتبت؛ كُتبت بطريقة فيها جور ولا تجوز ولا تحل، مع أنّ الذي كتبها رجلٌ مِن عوامّ المسلمين الصّالحين؛ لكنّه جار في الوصيّة ومال وهو لا يدري، ولم يشعر أنّه قد أخطأ في شيء مِن وصيّته؛ كتفضيل بعض الورثة على بعض، دون أنْ يدري أنّ مثل هذا لا يجوز، أو خصّ بعض الورثة بشيء، فقال - كما يحدث مِن بعض النّاس-: يكون النّقد الموجود في البنوك للبنات، أمّا الأرض والمزارع فتكون للأولاد؛ حتى لا يشاركهم فيها أزواج البنات، فهذا لا يحل، بل كلّ شيء يورث؛ حتى القلم الذي بريال واحد كلّه يدخل في الإرث، فلا يجوز أنْ يُحجب منه أحد، فيقال هذا النوع مِن المال للذّكور دون الإناث، بل كلّهم يدخلون ولا يحل أنْ يُحال بين أحد مِن الورثة وبين الإرث، ماذا يرثون؟ يرثون كلّ شيء، ولا يُخصّ أحد بشيء مِن الإرث دون أحد، وهذا يفعله بعض عوامّ المسلمين، بعضهم يدري وبعضهم لا يدري.

هذا لمَا قلناه مِن قول أهل العلم: «العلمُ يحتاج إليه كلّ أحد»، ولا يُتصور مسلم لا يحتاج إلى العلم؛ لا بُدّ مِن أنْ يحتاج إلى العلم في عبادته، في معاملاته، حتى في أقواله وألفاظه، يحتاج إلى أنْ يضبطها بضابط العلم، فأمر العلم والحاجة إليه عامٌ يحتاجه أئمّة المسلمين وعوامّهم ويحتاجه كلّ أحد، روى الدّارميّ -رحمه الله تعالى- -بسنده إلى الحسن ابن صالح- أنه قال: «**إنّ النّاس يحتاجون إلى هذا العلم في دينهم، كما يحتاجون إلى الطّعام والشّراب في دنياهم**»؛ كما أنّ الإنسان لا يستطيع أنْ يبقى في الدّنيا ولا تستقيم أحواله بدون الطّعام والشّراب، فلا تستقيم أحوال دينه إلاّ بالعلم، فإذا مضى في أمور دينه وعباداته على غير هديٍ سليمٍ مِن العلم، تفسد عباداته وهو لا يشعر.

ولهذا: جاء أنّ عِمران بن حصين رضي الله عنهما، أو غيره مِن الصّحابة رأى رجلًا يصلّي، فقال له: «منذ كمْ تصلّي هذه الصّلاة؟ قال: منذ أربعين سنة، قال: ما صلّيت منذ أربعين سنة»، لك أربع سنوات تظنّ أنّك تصلّي وأنت لا تصلّي، لماذا؟ لأنّه لم يكن يطمئن في الصّلاة، فقال إنْ كنتَ تظنّ أنّك تصلّي منذ أربعين؛ فاعلم أنّك لم تُصلّ منذ أربعين سنة؛ لأنّه صلّى صلاةً خالف بها قوله ﷺ: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»، قوله: «**كما رأيتموني**» يقتضي أنْ تتعرّف على هديه وسنّته ﷺ في الصّلاة، وذلك لا يكون إلّا بالعلم؛ ولهذا -كما قال الحسن ابن صالح- إنّ حاجة النّاس إلى العلم في دينهم كحاجتهم إلى الطّعام والشّراب في دنياهم.

فالعلم: مُصحّح للأعمال، وكلّ مَن أراد أنْ يتعبّد لا يمكنه أنْ يتعبّد، وتقبل عبادته إلّا إذا كان قد سلك مسلك العلم؛ كما قال الله عز وجل في أمر الدّعوة إلى الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] مَن يريد أنْ يدعو إلى الله فلا بُدّ مِن أنْ تكون عنده البصيرة، ومَن يريد أنْ يتعبدّ يسمع فضل قيام اللّيل، يسمع فضل الذكر فيكون على بصيرة، لا بُدّ مِن أنْ تكون الأمور على بصيرة حتى يُعبد الله عز وجل بما شرع.

القسم الثالث

آداب لا بُدّ لطالب العلم منها

والآداب التي يجب أنْ يتحلّى بها طالب العلم كثيرة، وصنّف فيها أهل العلم مصنّفاتٍ خاصّة بأدب العلم مِن قِبل العالم والمتعلّم؛ لأنّ العلم يجب أنْ يكون لحملته آداب وللمتلقّين أيضًا آداب، وهي كثيرة جدًّا، وبعض هذه الآداب واجب يأثم الإنسان إذا لم يحققه، وبعض هذه الآداب مِن الكمالات؛ لعلّنا نذكر ستة أو سبعة منها-إن شاء الله تعالى-تشتدّ الحاجة إليها في مثل هذا الوقت.

○ **الأدب الأول:** وهو أدبٌ واجبٌ، وهو إخلاص النيّة في طلب العلم وفي تعليمه:

إخلاصها لله عَزَّوَجَلَّ؛ فالعلم الشّرعيّ عبادة مِن أعظم العبادات، وكلّ عبادة -كما تعلمون- لها شرطان حتى تُقبل:

- **الشرط الأول:** إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ في هذه العبادة.
- **الشرط الثاني:** أنْ تُؤدّى العبادة على هدي رسول الله ﷺ.

واستدلّ أهل العلم على هذا بنصوص منها قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هذا شرط الإخلاص، **أي:** يريد الله تعالى بعبادته، وقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، قالوا: لا يكون العمل صالحًا إلّا إذا كان على هدي النبي ﷺ.

ولهذا: لا بُدّ مِن أنْ يوقع العمل على الهيئة التي أوقع العمل عليها رسول الله ﷺ؛ كما تقدّم في الحديث السابق: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»، وفي الحجّ قال ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»، فتؤخذ الأمور عنه صلوات الله وسلامه عليه، وتؤدّى على ما أدّاها صلوات الله

وسلامه عليه، فإذا أُدّيت على غير الهدي الذي كان عليه النبي ﷺ، ففي بعض الأحيان تبطل الصّلاة، كما في حديث المسيء في صلاته، يأتي للنبي ﷺ ثلاث مرّات يصلّي ركعتين متّجهًا إلى القبلة قاصدًا بصلاته الله، ثمّ إذا فرغ مِن صلاته وأتى النبي ﷺ قال: **«ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»** مع أنّه صلّى، ولكن صلّى على غير الطّريقة التي عليها رسول الله ﷺ؛ ولهذا بيّن له عليه الصّلاة والسّلام الخلل والإشكال الذي كان في صلاته، وهو عدم الطمأنينة في الصّلاة.

فالعلم -**أيّها الإخوة**- لمّا كان مِن أشرف العبادات، كان لا بُدّ لطالبه ولباذلة من إخلاص القصد لله عزّ وجلّ، وأنْ يريد بتعلّمه وتعليمه وجه الله تعالى، وأنْ لّا يقصد بتعلّم العلم ولا ببذل العلم وتعليمه، أيّ مطمع مِن مطامع الدّنيا، وقد ورد في هذا أحاديث عظيمة جدًّا، فيها وعيدٌ شديدٌ لِمن طلب العلم لغير الله عزّ وجلّ، منها ما رواه أبو داود، وابن ماجة، أنّ النبي ﷺ قال: **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عزّ وجلّ لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، وعرض الدّنيا متاعها وحطامها، فمَن تعلّم العلم لهذا القصد، يريد بتعلّمه العلم هذا العرض الزّائل مِن حطام الدّنيا، لم يجد -عياذًا بالله- رائحة الجنّة في القيامة، وهذا يدلّ على أنّ تعلّم العلم لغير الله كبيرةٌ مِن كبائر الذنوب؛ لأنّ الوعيد بالحجب عن الجنّة، أو بدخول النّار يكون في الأمور العظام الكبائر، ودلّ على هذا -أيضًا- الحديث الذي رواه مسلم، أنّ النبي ﷺ قال: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ -أي:** عرّفه الله نعمه- **فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ -أي:** هذا قصدك وغرضك في الدّنيا وقد تحقّق- **فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ -أي:** حصل لك ما أردتَ نسأل الله العافية والسّلامة- **ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى**

أُلْقِيَ فِي النَّارِ... ». رواه مسلم، في هذا الحديث بيان داءٍ آخر قد يدخل على طالب العلم، وعلى مُعلّم العلم يُؤثّر في الإخلاص، وهو تعلّم العلم، أو تعليم العلم لأجل الشّهرة -عياذًا بالله-ولِيُذكر هذا المتعلّم، ويُتداول اسمه في المجالس، ويكون بارزًا ظاهرًا يُشار إليه بالبنان؛ ولهذا روى التّرمذيّ -أيضًا- أنّ النبي ﷺ قال: **«مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»**؛ فمَن تعلّم العلم بقصد المجادلة ومجاراة العلماء؛ فهذا لم يقصد الله تعالى بتعلّمه بلا شكّ، إنّما أراد النّاس؛ وبالتّالي فليس له مِن الهمّة العالية التي يريدها أهل الإخلاص ما زكت به نفسه، إنّما أراد النّاس، فهمّهُ دائر على أنْ يظهر ويشتهر، فهذا ليس عنده إخلاص، وليس عنده الهدف السّامي مِن العلم الذي يتجاوز مجرّد تعلّم العلم ليبرز به، وليتلقّى به اسمًا ولقبًا وشهرةً في المجالس، وإشارةً إليه بالبنان، والتفاتًا لوجوه النّاس إليه.

وقد يسأل طالب العلم سؤالًا مهمًّا جدًّا: كيف يُحقّق الإخلاص في العلم؟ يقول: أنا أتعلّم العلم فلِكي أُخلص ماذا أقصد بتعلّمي؟

قال أهل العلم: يقصد بتعلّمه أنْ يرفع الجهل عن نّفسه في المقام الأوّل؛ ثمّ أنْ يرفع الجهل عن غيره؛ لأنّه مأمور إذا تعلّم العلم، ومَنّ الله عليه به ألّا يقتصر على نفسه، بل ينشر هذا الحقّ وينشر هذا الخير.

○ الأدب الثّاني: وهو العمل بهذا العلم:

ولا يكون قصده الإخلاص فقط بأنْ يرفع الجهل عن نّفسه، ويرفعه عن غيره، فهذا متعلّقٌ بالقلب وهو لا يكفي، لكن يأتينا هذا الأدب الثّاني؛ حتى لا يكون العلم وبالًا على صاحبه، وهو العمل بما تعلّمته، كان الصّحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم إذا قرءوا عشر آيات، لم يجاوزوهنّ حتى يتعلّموا ما فيهنّ ويعملوا بهنّ، قال أحدهم: «**فتعلّمنا العلم والعمل معًا**» تعوّدوا عادة طبّقوها وألزموا أنفسهم بها، وهي أنّهم لا يُجاوزون شيئًا مِن النّصوص حتى

يطبّقوه؛ فصار علمهم مصحوبًا بالتّطبيق مباشرةً، يتعلّمون ويعملون مباشرةً، أمّا الذي يعلم ولا يعمل فإنّه يضرّ نفسه كثيرًا جدًّا؛ لأنّه لو جهل بعض الأمور، وليس كلّ الأمور لكان الجهل في بعض الأحيان سببًا في عذره؛ لكن ما شأنه لا يعمل وقد علم، وهذا بكلّ أسفٍ كثيرٌ، ولا سيّما في المتعلّمين اليوم في الجامعات؛ حيث صارت الجامعات بوّابة ينفذ مِن خلالها النّاس على الوظائف، فجاءت أعداد غفيرة مِن النّاس لا تريد العلم، وليس عندها الاستعداد لتطبيق ما تعلّمته مِن العلم، فجمعوا مِن العلوم شيئًا كثيرًا، وعرفوا مِن الأحكام أحكامًا كثيرةً ودلّلوا على هذه الأحكام، فصاروا يقولون: إنّ حكم المسألة الفلانيّة هو التّحريم، والدّليل على تحريمها قول الله: ...، وقول رسول الله ﷺ: ...، وإجماع أهل العلم، ثمّ يعملون بخلاف ما علموا، فيقعون في الحرام المحقّق الذي يعلمون أنّه حرام.

وهذا في الحقيقة أمر يُخاف معه على كثيرٍ مِن الذين يتعلّمون اليوم، ممّن يتعلّمون ولا يطبّقون، يأتون إلى التّعليم ويدرسون ويأخذون الشّهادات، ولم يقوموا بالعلم لا ظاهرًا ولا باطنًا، على خلاف هدي أهل العلم وسمت أهل العلم، وأقوالهم وتصرّفاتهم أبعد ما تكون عن العلم الذي تعلّموه، هؤلاء لا شكّ أنّهم قد وقعوا تحت وعيدٍ عظيمٍ جدًّا، دلّ عليه عدد مِن النّصوص، مِن أوحشها وأخطرها ما رواه «**البخاريّ**» عن أسامة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ** –أي: أمعاؤه عياذًا بالله– **فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**» –نسأل الله العافية والسّلامة– وهذا واقع مِن بعض المدرّسين الآن، صوته عالٍ في الفصل يُحذّر الطلّاب مِن أقوالٍ، وأفعالٍ، وتصرّفاتٍ، ومحرّماتٍ، ويُدلّل لهم بالأدلّة، ثمّ هو يعمل –نسأل الله العافية– بخلاف ما درّسهم؛ لأنّه يُدرّس الذي في الكتاب هذه همّته، ويأمرهم بأمورٍ واجبةٍ، ويذكر لهم أدلّة وجوبها، ثمّ هو أبعد النّاس عن تطبيقها؛ فهذا يُخاف عليه –عياذًا

بالله- لأنّه قد عرف الحقّ مِن الباطل، وكان يوجّه النّاس توجيهًا لفعل الخير وترك الشر، كحال هذا الذي رُمي في النّار يقول -عياذًا بالله-: «**كنت آمركم بالمعروف فلا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه**».

فعلى مَن يتصدّر للتّدريس أنْ يستنقذ نفسه، وأنْ يحذر كلّ الحذر أنْ ينهى النّاس عن أمرٍ فيعمله هو، أو يأمر النّاس بأمر فلا يطبّقه؛ لأنّه يقع -عياذًا بالله- تحت هذا الوعيد، ومِن عجيب أمر هذا الصّنف أنّهم قد ينفعون النّاس بتحذيرهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، لكنّهم أبعد النّاس عن الانتفاع بهذا، وقد روى «**البزّار**» أنّ النبي ﷺ قال -في هذا الصّنف-: «**مَثَلُ الَّذِيْ يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مِصْبَاحٍ يُضِيْءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ**»؛ سراج فيه فتيلة يُجعل فيها الزّيت، أو يُجعل فيها مثل الأدوات الحديثة وتوقد، هذه الفتيلة إذا اشتعلت أضاءت على مَن حولها، لكن هي في ذاتها تحترق في النّهاية، فجعل النبي ﷺ مثلًا لهذا الصّنف الخاسر -أعاذنا الله وإيّاكم منه- ممّن يعظ النّاس، ويحذّر النّاس، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ثمّ هو أبعد النّاس عمّا أمر به، وأوقع النّاس فيما نهى عنه -نسأل الله العافية-.

وقد روى «**البخاريّ**» مِن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث الرّؤيا الطّويل، حيث رأى ﷺ أحوالًا كثيرةً مِن أحوال البرزخ، ومِن ضمنها أحوال بعض المعذّبين في قبورهم، فكان منهم رجل قائم عليه رجل بيده فهر -وهي الحصاة التي تملأ الكفّ- أو صخرة، فيرسل هذه الصّخرة أو الفهر على رأسه -نسأل الله العافية والسّلامة- فيشدخه؛ لأنّ الرّأس إذا وقعت عليه الحجارة لا شكّ أنّه يتكسّر، قال ﷺ: «**فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا -أي:** يتدحرج الحجر- ، **فَيَتْبَعُ الحَجَرَ -أي:** هذا الذي يضرب يتبع الحجر- **فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ -أي:** حتى يعود عليه العذاب مرّة أخرى نسأل الله العافية- ، **ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَى**»، فسأل عليه الصّلاة والسّلام ما هذا؟! فقال الملكان: «**الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ**

رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، **أي:** أنّه مِن طلّاب العلم، علّمه الله القرآن فلم يتغيّر ليله ولا نهاره بهذا القرآن العظيم، هذا الحديث ورد بلفظٍ آخرَ أنّ النّبي ﷺ قال: **«فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ»** مع أنّه ممّن تعلّم القرآن فينام عن الصّلاة المكتوبة، كحال مَن ينامون عن صلاة الفجر، أو عن صلاة العصر إذا خرجوا مِن أعمالهم، مع أنّه ممّن علّمه الله القرآن فنام عنه باللّيل فترك الصّلاة المكتوبة، ولم يعمل فيه بالنّهار، لكنّه إذا فُتحت المدارس، خرج ليأمر النّاس والطلّاب، افعلوا كذا والدّليل على وجوب فعل هذا الأمر، قول الله: ...، وقول رسول الله ﷺ: ...، واتركوا كذا، ويحرم كذا والدّليل على حرمته قول الله، وقول رسوله ﷺ، وهو لا يعمل بشيء ممّا يأمر به النّاس، **«فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ»**.

-**فلْيحذر طالب العلم**- غاية الحذر مِن الوقوع في هذا، ولْيعوّد الواحد منّا نفسه على تطبيق ما يتعلّم كما فعل الصّحابة، إذا علمتَ بابًا مِن أبواب العلم ابدأ في تطبيقه، ابدأ في تعويد نفسك عليه.

هذا العلم -**أيّها الإخوة**- ميراث الأنبياء، فلا يصلح أنْ يكون صورةً يُؤمر النّاس بها دون أنْ يتحقّقها صاحبها وتنفعه، ولمّا كان العلم ميراث النّبوّة عظمت المسئوليّة أيها الإخوة، وكما أنّه -كما تقدّم- أعظم وأفضل الأعمال، فإنّ الشّأن في عقوبة صاحبه عقوبة بالغة جدًّا؛ لأنّه لم يكن أهلًا لهذا الشّرف الذي دخل فيه؛ لذلك تكون عقوبته على قدر إساءته.

وروى ابن حبّان -أيضًا- أنّ النّبي ﷺ قال: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ من أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ**» -نسأل الله العافية والسّلامة- لأنّ الخطيب -أيضًا- يأمر النّاس، ويذكّرهم، ويحذّرهم، ومِن أكثر ما يذكّر به الخطيب النّاس تقوى الله «**اتّقوا الله**»، فإذا لم يكن هو متّقيًا لله صار يأمر النّاس ويقول ما لا يفعل -نسأل الله

العافية والسّلامة، ونعوذ بالله مِن الخذلان-، وهذا الأمر -أمر العمل بالعلم- أمرٌ يجب أنْ يُتفطّن له غاية التّفطّن، وأنْ يُحذر مِن غبّه، فمِن أخطر ما على طلّاب العلم داءان: عدم الإخلاص، وعدم العمل بما علم الإنسان.

○ **الدّاء الأوّل: عدم الإخلاص:**

في عدم الإخلاص جاء حديثٌ صحّحه غير واحدٍ مِن أهل العلم، فيه أنّ النّبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**» -نسأل الله العافية والسّلامة- قرّاؤها **أي:** طلّاب العلم، يكثر فيهم النّفاق -نسأل الله السّلامة والعافية- فينغي الحذر مِن هذا؛ لأنّ العلم -**أيّها الإخوة**- يجلب لصاحبه شيئًا كبيرًا مِن المحبّة في قلوب النّاس والرفعة؛ فتجد الرّجل ذا الثّمانين سنة يقبّل رأس الشّاب ذي العشرين سنة بحبّه له؛ لأنّه مِن أهل العلم، فقد يجلب هذا لنفوسنا ضعفًا، نتطلع معه إلى شيءٍ مِن الشّرف في قلوب النّاس، وأنْ نّسعى بعلمنا إلى أنْ نّظهر ونترفع به.

ورحم الله السّلف ما أبعدهم عن هذا الدّاء، كان منهم مَن إذا جلس إليه أربعة قام، يرى أنّ العدد كثر، كرجل جالس إلى سارية وبدأ النّاس يجتمعون عنده فكثروا فقام حتى لا يشتهر، حتى لا يظهر، خاف على نفسه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ فهذا الدّاء مخوف ولا شكّ وخطير علينا جميعًا، ولا سيّما والنّفوس تتشوّف إلى هذا أشدّ مِن تشوّفها للمال، فالأموال قد تخفّ عند الإنسان ولا سيّما إذا كان غير محتاج؛ لكن أمر الشّرف، والارتفاع، والإشارة بالبنان، هذه خطرة للغاية، وعلى الإنسان أنْ يسأل الله العون عليها، وأنْ يعيذه مِن شرّها.

ولهذا: كان السّلف رضي الله عنهم -أيضًا- إذا رأوا مَن يتبعهم ويمشي خلفهم، نهروه وطردوه، فيقول أحدهم: «لا يُوطأ عقبي»؛ **أي:** لا يمشي أحد حتى يكون خلفي، ورأى عمر رضي الله عنه أبيّ بن كعب، وقد تّبعه بعض النّاس فَعَلَا عمر وهو الخليفة أبيّ بن كعب وهو قارئ المسلمين، وقال فيه عمر: هذا أبيّ سيد المسلمين، علاه بالدّرة وضربه، قال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: «ذلّة للتّابع، وفتنة للمتبوع»؛ يقول فتنة لك وإنْ كنت أبيّ بن كعب تفتن، هذه الأفواج التي تمشى خلفك خطر عليك، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ما أعظم حياة قلوبهم، قلوب حيّة، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، كانوا يفرّون من الشّهرة فرارًا، ونفوسنا الضّعيفة تتطلّع لمثل هذا، وتضعف عند مثل هذا؛ ولهذا على الإنسان أنْ يسأل ربّه العافية مِن هذا الدّاء.

○ الدّاء الثّاني: عدم العمل بالعلم:

وأعطيك عليه مثالًا يسيرًا جدًّا، الجوّالات الآن امتلأت، والشّاشات في المواقع امتلأت عند بعض طلبة العلم بصور النّساء، كيف ذلك وأنت طالب علم؟! يقول: أنا أتابع الأخبار، أنا ليس همّي التّطلع إلى النّساء؛ لكنّي أطالع الأخبار- سبحان الله العظيم-، انظر إلى هذه العقبة مِن عقبات إبليس، كأنّ الذي لا يرى النّساء ينقطع في كهفٍ، لا يدري بالأرض ولا بمَن فيها، بل تستطيع أنْ تتابع الأخبار ولا ترى صورة امرأة، ولا تسمع نغمة موسيقى واحدة؛ ولذلك طرق كثيرة تستطيع أنْ تتطلّع مِن خلالها إلى الأخبار، وتعرف ما الذي وقع دون أنْ تنظر إلى النّساء، ولا تفتح لنفسك أبواب المعذرة، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]، صور النّساء حرام لا تجوز ولا يحلّ أنْ تراها، وأنت تقول: أتابع الأخبار وما الذي يجري في الأرض؟! هذه مِن عقبات الشّيطان، النّاس يتابعون الأخبار ويتورّعون عن النّظر إلى النّساء، فأين علمك؟ أين عملك بعلمك؟ لو سُألتَ: ما حكم النّظر إلى النّساء؟ قلتَ: حرام، فما بالك أنت تطالع النّساء؟ ثمّ تجعل لنفسك نوعًا مِن المعذرة، تقول: أنا أختلف عن هؤلاء السّفهاء، هم يطالعون النّساء يتلذّذون بهنّ، وأنت؟ أتابع الأخبار، ألا تجد تلذّذًا بصور النّساء- سبحان الله العظيم-، هذه مِن الشّيطان الرّجيم؛ لا بُدّ مِن أنْ يقع في قلبك ما يقع في قلوب النّاس، فتعوّذ بالله وخلّص نفسك، في شاشة أمامك أو في جوّالك، خلّص نفسك مِن هذا الدّاء، واعلم أنّ هذا ليس عذرًا، هذا مِن عدم العمل بالعلم، فكما أنّه لا يحلّ أنْ تتطلّع إلى النّساء في الأسواق، لا يحلّ أنْ تتطلّع إلى صورهنّ في الشّاشات، فضلًا عن أنْ تكون في جوّالك وأنت

حافظٌ لها، تقول: هذا زلزال وقع في بلد كذا، أتأمّل في آيات الله، تعوّذ بالله مِن الشّيطان واترك عنك هذه الوسائل التي يعبث بك الشّيطان مِن خلالها، تقول: أنا أنظر إلى هذه البراكين، إلى هذه الأعاصير التي وقعت، وليس قصدي أنْ أنظر إلى النّساء، هذا كلّه مِن الشّيطان، ومَن قال لك: إنّ لك أنْ تنظر حتى لمثل هذه الأمور في حال وجود الصور فيها، هذا مِن عدم العمل بالعلم؛ لأنّك تعلم أنّ النّساء لا يحلّ لك أنْ تنظر إليهنّ، هذه أدواء، فعلي طالب العلم أنْ يراعي هذه الآداب.

○ الأدب الثّالث: الدّعوة إلى الحقّ:

إنّ الذين تعلّموا بالألوف، وحاجة الأمّة والجهل المنتشر فيها لا يوصف، في الأمّة مَن لّا يعرف معنى: **لا إله إلّا الله**، في الأمّة مَن لّا يعرف كيف يتوضأ، الرّوافض، والمنصّرون، والملاحدة، والجهميّة، والصّوفيّة يوجّهون سهامًا متعددةً لسّنّة نبينا ﷺ، ولعقيدة أهل السّنّة؛ فأين الذّابّون عن السّنّة؟ أين هؤلاء الذين تخرّجوا بالألوف؟ أين الدّفاع عن سنّة محمّدٍ ﷺ، كثير مِن طلبة العلم للأسف مشتغل بنفسه وبحياته، ومنهم مَن اشتغل بمكاسب دنيويّة، أو تقوقع على نفسه ولم ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به أحدًا فصار كأنّه لم يتعلّم، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر]، قال الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أكثر الخلق في غفلة عن تدبّر هذه السّورة**»، هذه السّورة شأنها عظيم؛ لأنّ الله أخبر أنّه لا ينجو مِن الخسران ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، الذي لا يكون مِن المؤمنين لا نصيب له في النّجاة، ولا بُدّ مِن أنْ يعمل، ولا بُدّ مِن أنْ يدعو ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ هذه الطّاقات الموجودة في الأمّة الآن بآلاف الخرّيجين، ومنهم حملة شهادات عُليا، الجهل المخيّم الآن على الأمّة، والحملة الهائلة على السّنّة، وعلي أهلها، وعلي العقيدة، هؤلاء لو ارتفعت وسمت هممهم للذود عن السّنّة، والردّ على أهل الباطل،

لأدخلوهم -كما قال المثل- في أقماع السّمسم، ماذا يفعل الرّافضيّ أمام السّنيّ؟ الرّوافض لا حجّة لهم، المخرّفون مِن الصّوفيّة وغيرهم، الذين يربطون الأمور بكهوف وبقبور، كيف أثّروا في النّاس؟! بسبب تقهقر كثير مِن أهل العلم وطلبة العلم، وإلّا فالجامعات خرّجت الألوف، ومعهم نصيب وافر جدًّا مِن العلم، **فأين هم؟!!** مع هذه الحاجة الشّديدة في الأمّة لهم، بكتابةٍ، بمقالةٍ، بمحاضرات، بكلمات توجيهيّة، بدروس، ومنهم مَن يسافر إلى أنحاء العالم، يمنةً ويسرةً، والمسلمون مِن حوله في أشدّ الحاجة، إلى أن يُعرّف بعضهم بطريقة الصّلاة وكيفيّتها، يذهب يتفرّج هنا وهناك ثمّ يرجع لم ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به أحدًا، مع أنّه مِن أهل العلم للأسف.

فهذه أمور يجب على طالب العلم أنْ تأخذ مِن قلبه مأخذًا، وهي الدّعوة إلى الحقّ وأنْ لّا تهون عليه السّنّة أنْ تُنتهك، وأنْ تُستضعف وتُسترذل، ويُخرج النّاس مِن نّورها إلى ظلمة الرّوافض، وظلمة الخرافة، وظلمة حتى -والعياذ بالله- الإلحاد، والارتداد، وعنده مِن العلم ما يمكن أنْ يمحو الله عَزَّوَجَلَّ به هذه الضّلالات، وهذه الشّبه ولا يعمل، ما هنالك همّة، عنده علم وربّما عمل في خاصّة نفسه؛ لكن لا همّة له، وقد جاء الله تعالى بهذه الوسائل الحديثة التي يمكن معها، أنْ توصل الخير وأنت في وسط بيتك إلى أنحاء العالم، بهذه الوسائط الجديدة، التي يمكن أنْ تصل بها إلى العرب، وإلى العجم، وإلى مَن في بلدك، وإلى مَن هم خارج بلدك، وتذبّ عن السّنّة وتدعو إلى الخير، فصار المجال مفتوحًا، ومِن أسفٍ كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أشكو إلى الله عَزَّوَجَلَّ جلد الفاجر، وعجز الثّقة**»؛ فجّار مِن الرّوافض وأمثالهم انظر إلى النّشاط المحموم عندهم، وانظر إلى العجز، والتّكاسل، لا نقول -ولله الحمد- مِن الجميع، لا ولله الفضل، هناك -ولله الحمد- عمل دؤوب وكبير جدًّا؛ لكنّ حاجة الأمّة أكبر مِن العمل الموجود، أكبر بكثير، ولا يمكن أنْ يغطّيها الوضع الحاصل، حتى عندنا هنا في المملكة، الدروس والكلمات لا يمكن أنْ تغطّي البلد هذا، فضلًا عن أنْ تغطّي الأمّة، فلماذا لا تنبعث همم طلبة العلم ممّن آتاهم الله عَزَّوَجَلَّ علمًا؛ لاقتحام هذه الميادين، ميادين سهلة ميسّرة، إنّما

هو موقع تنشره وتبثّ فيه ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ مِن الخير، والعلم، وينتشر في أنحاء الأرض؛ فهذا مِن الآداب العظيمة التي ينبغي أنْ يتفطّن لها طلبة العلم، وأنْ لّا يقتصروا على العمل في خاصّة أنفسهم، بل يسعون إلى نشر الخير وتعميمه ما استطاعوا.

○ الأدب الرابع: إيفاء العلماء حقهم:

من أعظم أدب طلبة العلم: أن يوقرون من هو أعلم منهم، وأن يعرفوا حق كبرائهم، وما دام طالب العلم، يأخذ العلم عن كبراء أهل العلم، فالناس بخير، وإنما تكون الهلكة لطالب العلم إذا أُعجب بنفسه وتَرَفَّع على من هم أعلم منه، ورأى أنه بلغ من العلم مبلغا لا يحتاج معه إلى مباحثة ولا مسائلة أحد.

روى الدارمي: أن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم، أو يُعلم الآخِر، فإن هلك الأول -يعني: الكبير- قبل أن يُعَلِّم أو يتعلم الآخر هلك الناس، يعني: أن مثل الشباب، إذا لم يقبلوا على تعلم العلم عن كبرائهم، مات الكبراء، وبقي الشباب لم يتعلموا منهم، يقولون: عند ذلك يهلك الناس، لكن ما دام الصغار والشباب يتعلمون من علمائهم الكبار، فالناس بخير؛ لأن العلماء الكبار إذا ماتوا خلفهم هؤلاء، فصاروا علماء بدلا منهم، ثم الشباب الذين من بعدهم صار هؤلاء الشباب يوما ما كبارًا، فأخذ عنهم الشباب وهكذا.

قال: وإنما يهلك الناس إذا مات العلماء الكبار والشباب لم يأخذوا منهم.

آفة الغرور:

طالب العلم قد يصيبه نوع من الغرور، يترفع به على أقرانه، فيرى أنه أرفع الناس من المتعلمين، ثم يستمر به الأمر حتى يترفع على أهل العلم من معاصريه ممن هما أكبر منه وأعلم، ثم يتجاوز الحد كما حصل لكثيرين، فيترفع حتى على علماء الأمة، وأئمتها الذين جعل الله تعالى لهم من الرفعة، والمكانة في قلوب الأمة، ما جعل.

ولهذا قال بعض السلف: إن للعلم طغيانا كطغيان المال، أو قال: كطغيان السلطان، فليحذر طالب العلم من هذا.

الغرور أضر بعدد ممن آتاهم الله تعالى نوعا من الفهم، ولكنهم ترفعوا بهذا الفهم، ورأوا أنهم يفوقون غيرهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فأئمة الإسلام الكبار الذين جعل الله ﷻ لهم من الرفعة في الملكوت الأعلى عنده سبحانه، ومن الرفعة في الأمة، والمكانة، والأجور العظيمة، جعل له ﷻ من ذلك ما جعله هؤلاء.

من مسالك الشيطان أن يتصور أحد أنه سيتفوق عليهم، وسيكون مقدم عليهم، مع أنه هو حسنة من حسناتهم، لأنهم نقلوا له العلم ورأسهم، وأوائلهم أصحاب النّبي ﷺ، نقلوه عن رسول الله ﷺ ثم التابعون، ثم من بعدهم، وهكذا استمرت سلسلة العلم إلى أن وصلت هذا الذي اغتر بعلمه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير، ما أخذوا العلم عن كبرائهم، فإذا أتاهم العلم عن أصاغرهم هلكوا».

ولهذا: ينبغي على الشاب أن يلاحظ هذا الأمر ملاحظة تامة، حتى لو آتاك الله علمًا وفهمًا فإياك أن يطغى بك هذا العلم، فعليك أن تعرف لأهل العلم الكبار قدرهم، وأن تعلم أنهم قد سبقوك في التجربة، وأن فوران الشباب وشدته وعجلته هذه قد جاوزوها، ومر بهم ما مر بك، وتعلموا علوما في فترات أطول من الفترة التي تعلمتها، فينبغي أن تراعي الأدب معهم، وأن تحذر من خطوة الشيطان هذه، التي تستفز بعض طلبة العلم، حتى يترفعوا ترفعا يتجاوزون به طورهم وحدهم، فلا ينفع الله ﷻ بهم، ولا يجعل لهم ﷻ في الأمة لسان صدق، ولا يجعل لهم توفيقا، وإنما صار لهم جلبة، وضجيج في وقتهم، ثم سبحان الله العظيم لا يبقى لهم أثر.

وقد يكون في نية الواحد منهم ما فيها من الدخل والسوء؛ لأن المعتاد: أن الإنسان إذا أتاه الله علما يتواضع لله ﷻ، لا يترفع به، لا يشمخ بأنفه، ويبدأ يقرر التقريرات التي يزعم أنه لا

يصل إليها أحد، وأنه ما فاقه أحدا ولا يستطيع أحد أن يعلم ما وصل إليه.

فإن هذه من خطوات الشيطان فليحذرها طالب العلم غاية الحذر، وليحرص على التواضع لله عَزَّوَجَلَّ، وعلى ألا يرفع ويشمخ برأسه، وهذا تلاحظه في المؤلفات للأسف، يجد بعض المتأخرين وهمًا وهم فيه بعض الحفاظ المتقدمين، فيضع عنوانا كبيرا: هذا الوهم وقع فيه فلان، ويضع علامات تعجب، وعلامات استفهام، غريب أن يخطئ الإنسان؟! غريبا أن يهم العالم؟! أليس بشرا؟

ليس غريبًا، فإذا وجدت مثل هذه المواضع التي زل فيها بعض الحفاظ، أو وهم، فلا تجعلها مدعاة لرفعتك أنت، حتى تقول: إني قد عرفت هذا الأمر على الحافظ الفلاني، وتمكنت من التنبيه على هذا الوهم الذي وقع فيه، الوهم يقع فيه من هو أعلم منك وأنت بنفسك إذا صنفت وكتبت وتكلمت تقع في أوهام، فربما جاء من هو أصغر منك، ولاحظ عليك ما هو أشد مما لاحظته على غيرك.

ليتعوذ طالب العلم بالله من الشيطان الرجيم، وليترك عنه نفخ نفسه، وترفعه بها، فإن هذا من الشيطان، ومن الطرق المبعدة عن الإخلاص.

هذه من الدلائل -والعياذ بالله- على ضعف الإخلاص، وإلَّا المخلص لله عَزَّوَجَلَّ لا ينشد أن يترفع، ويشيع في الناس أنه عرف كذا، وأن غيره لم يتفطن لكذا، هذا كله من الشيطان.

○ الأدب الخامس: فهم الأولويات في العلم:

فهم الأولويات في العلم أعظم ما يجب أن يضبطه طالب العلم أمر الاعتقاد، لا يليق بطالب العلم أبدًا أن يتعمق في أبواب متقدمة من العلم مع جهله بالأسس الكبار التي يبنى عليها العلم.

على سبيل المثال: معنى كلمة التوحيد، والتدليل على كلمة التوحيد من القرآن، ومن السنة، وشروط هذه الكلمة، وأدلة هذه الكلمة، وهكذا أصل الاعتقاد في أسماء الله تعالى وصفاته، وقول أهل السنة في القواعد والأسس التي يقوم عليها الإيمان بالأسماء والصفات،

هكذا أمر القدر، ومراتبه الأربع، وأبرز الردود على من يحتجون بالقدر، هكذا ما يتعلق بالنصوص الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، ورد شبه الروافض والخوارج وأضرابهم، الذين نالوا من أصحاب النّبي ﷺ.

هذه الأبواب وأمثالها من أبواب الاعتقاد، من الخطأ أن يكون طالب العلم فيها ضعيفا في الوقت الذي تقدم ودرس أبوابًا واسعة في الفقه، فقه الأحكام العملية، أو مصطلح الحديث، أو أصول الفقه، فترك الأولوية الأولى والأساس الأكبر، وهو علم الاعتقاد واشتغل بأبواب نافعة من العلم، لكن هذه الأسس والأصول الكبار لم يراعها، فلم يفهم الأولويات في العلم، فلهذا تجده يعرف مسائل متقدمة جدا من العلم، قد لا يعرفها إلا العلماء المبرِّزون، في الوقت الذي يجهل فيه مسائل ينبغي أن يعرفها في بداية طلبه، كالدليل على شهادة: أن لا إله إلا الله: أن معناها: لا معبود بحق إلا الله، أدلتها في القرآن، ينبغي أن تضبطها، وأن تدعو الناس إلى كلمة التوحيد، وأن هذا معناها، وأن الدليل عليها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، العروة الوثقى، هي: لا إله إلا الله.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هذا النفي في قولك: لا إله، و﴿يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾ هذا الإثبات في قولك: إلا الله.

قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، هذا النفي في قولك: لا إله، ﴿إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا الإثبات في قولك: إلا الله، لهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: هذه الكلمة كلمة التوحيد، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] وهكذا غيرها من المواضع المهمة البارزة في مسائل الاعتقاد، لا ينبغي أن يجهلها طالب العلم، في الوقت الذي يعرف مسائل دقيقة جدا في علم المواريث، وفي مسائل الأحكام؛ لأن هذه المسائل المتقدمة

في العلم، يجب أن تسبق بضبط أصول الاعتقاد قبلها.

تنبيه!!

هنا أنبه إلى مسألة خطرة جدًّا، وهي تغلغل الاعتقاد الخاطئ إلى هذا الصنف من طلاب العلم من حيث لا يشعرون؛ لأنه لا يضبط أمور العقيدة، ويتوسع في فقه الأحكام العملية، فيدخل عليه الداخل من هذا الباب؛ فيقرر في بعض الأحيان من حيث لا يشعر مسائل من اعتقاد الجهمية، ولا يدري: أن هذه هي مقولة الجهمية.

وأُعطي مثالًا للعبرة، وقفت عليه أنا بنفسي من رجل أعرفه جيدًا ضلّ في الاعتقاد، وأخذ بقول الجهمية في الأسماء والصفات، وبخزعبلات الصوفية، دلس عليه أحد المبتدعة الضلال، وأتاه من زاوية، وهي أن قال له: إن أهل المذاهب الأربعة يعتقدون هذه العقيدة.

وهذه المسألة ينبغي أن تُضبط، إذا قلنا: المذاهب الأربعة، فينبغي أن يُعلم: أن اعتقاد الأئمة الأوائل، أصحاب المذاهب الأربعة، واعتقاد أصحابهم معروف مضبوط محرر.

السائل: فعلى سبيل المثال إذا أردت أن تعرف اعتقاد الإمام الشافعي أين تجده؟!

الجواب: تجده في ثلاثة مواضع في كتابه العظيم «الرسالة»، وفي كتاب «الأم»، وفي المرويات عنه بالأسانيد الصحيحة، وصنفت في هذا مصنفًا مستقلًّا عمدا عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن بعض المخرفين والجهمية يقول: إن اعتقاد الشافعية هو كذا، فنقلت اعتقاده -رحمه الله تعالى- من كُتبه هو، ومن المرويات الثابتة الصحيحة عنه هو رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا وجد من ينتسب لمذهبه رَحِمَهُ اللَّهُ من المتأخرين، ويكون قد قال بقول خالف به اعتقاد الإمام، فليس هذا ذنب الشافعي، أن يأتي شخص بعد سبعة قرون، أو ثمانية قرون، ويكون من الآخذين بفقه الأحكام عند الشافعي، ويخالف الشافعي في اعتقاده، الشافعي والأئمة اعتقادهم مضبوط، هذا المحتال أتى إلى هذا الرجل من جهة أنه قال: هذا اعتقاد أهل المذاهب الأربعة، وبدأ يذكر له كلام بعض المتأخرين ويقول: يعتقدون كذا، ويعتقدون كذا، مما خالف فيه

المتأخرون أئمة المذهب المتقدمين، وصور لهذا وأمثاله من جهلة الناس: أن اعتقاد هؤلاء الأئمة هو الموجود عند المتأخرين، فضل ضلالا بعيدا؛ لأنه أخذ بهذه المقالات عن الجهمية، وعن المتصوفة وأمثالهم، وزعم أنها مما قال به الأئمة المتقدمون رحمهم الله، مع أن الأمر كما ذكرت لكم، اعتقاد الأئمة مضبوط معروف، في كتب صنفوها، وفي أسانيد ثابتة عنهم رحمهم الله على السنة.

ناقشت هذا الرجل بنفسي، وسألته سؤالا، قلت: إن أجاب عليه بلا، فلا حاجة للكلام عنه معه نهائيا، وإن قال: نعم واصلت النقاش معه، قلت له: أتعتقد أن مذهب السلف الصالح حق أو ليس بحق؟ فإن قال: لا، فهذا به شعبة من شعب الروافض، له طريقته في النقاش، وإن قال: نعم، فإنك تستطيع أن تواصل معه النقاش، فقال: بلى، أعتقد أن قول السلف هو الحق، وأن أي قول يخالف قول السلف فهو الباطل؛ لأنه يظن أن الاعتقاد الذي هو عليه هو اعتقاد السلف، وأن هذا الداء الذي أوصله إليه هذا المحتال هو قول السلف، فقلت له: هذا طيب، أن قول السلف عندك هو الحق، أريد منك أن تعطيني طريقتك في الوصول إلى قول السلف، كيف تعرف اعتقاد السلف؟ أعطني الكتب، التي صنفت تروي بالإسناد عقيدة السلف، تروي بالأسانيد عن عمر، عن أبي بكر، عن عثمان، عن علي، عن المهاجرين، عن الأنصار، عن التابعين، هات.. اذكر لي الكتب فقط.

تحير، وبعد طول تفكير، قال: العقيدة الطحاوية -سبحان الله العظيم- العقيدة الطحاوية متن مختصر، أراد بها الطحاوي اختصار القول في مسائل الاعتقاد في القدر، في النبوة ..اختصار، ولم يقصد التدليل عليها الموسع، حتى بالنصوص من القرآن، ولم يقصد التدليل بالسنة، فضلا عن أن يقصد نقل قول السلف.

قلت: العقيدة والطحاوية لا يوجد فيها نقول عن السلف، قلت: كيف تزعم، أن ما أنت عليه هو اعتقاد السلف مع أنك لا تعرف كتابًا واحدًا من الكتب التي تروى لك مذهب السلف

بالإسناد، أين كتاب الآجري «الشريعة»؟ أين كتاب الخلال «السنة»؟ أين كتاب «السنة» لابن أبي عاصم؟ أين كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي؟ أين هذه الكتب عنك؟ لا تعرف؟

نعم.. لا يعرف لأنه علق بمن ضل من المتأخرين.

ثم أثرت معه مسألة أخرى، وهي أن الكفار بنص القرآن، يؤمنون بتوحيد الربوبية، ودل على هذا آيات كثيرة في كتاب الله، منها الآيات التي صدرت بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ [العنكبوت: ٦١] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

كل هذه الآيات مع قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤] الآيات، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١] كلها دالة على إن الكفار يعتقدون أن الربوبية محل إقرار، وإنما أشركوا في العبادة، فقال: لا، الكفار لا يقرون بالربوبية، قلت: وهذه الآيات، ما تقول فيها؟

ثم أمرته أن يراجع تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في (سورة يوسف) عند الآية السادسة بعد المئة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وقلت له: طبّق. أنت تقول: إن مذهب السلف حقّ، ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ نقل عن سبع من السلف، ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد وغيرهم: أن المراد بإيمانهم: إيمانهم بأمور الربوبية، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا قيل لهم من خلق السماء، من خلق الأرض، من خلق الجبال؟ قالوا: الله؛ وهم مشركون، وهكذا قول قتادة لست تلقى أحدًا، ألا أخبرك أن الله ربّه ثم يشرك في عبادته، واضح

أنهم يقرون بالربوبية، وإنما الشرك منهم في العبادة.

قلت: طبّق هذا الآن، أنت تقول: إن مذهب السلف حق، راجع تفسير ابن جرير لتعرف ماذا قال السلف، لكن فاقد الشيء لا يعطيه، الذي لا يعرف هذه المواضع من كلام السلف في كتاب الله وفي مصنفاتهم، لا شك أنه لا يستطيع أن يدلل على مثل هذا.

-أسوق هذا بيان لهذا الأدب العظيم-: وهو أن طالب العلم يجب عليه أن يعي الأولويات، في أمور العقيدة لا بُدّ أن تضبط يا إخوة؛ حتى لا يدخل عليك الداخل، فتكون ذا فقه في الأحكام، وذا دراية بأصول الفقه، وبمصطلح الحديث؛ لكن عندك إشكال من جهة الاعتقاد، السبب في هذا عدم ضبط الأولويات.

الأولوية في العلم -كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه-: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَومًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُن أَوَّل مَا تَدْعُوهم إِلَيْهِ شَهَادة أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله، وأَنَّ مُحَمَّدا رَسُول اللهِ**»، علم التوحيد أعظم العلوم، أولّها وأهمّها وأشرفها؛ فلا بُدّ من أن يضبط الاعتقاد.

أمّا إذا تعمّق طالب العلم في الفقه العملي، وفي المصطلح، وفي أصول الفقه، وهو لا يضبط أمور المعتقد دخل عليه الداخل من الخلل وهو لا يدري.

حتى نختصر نذكر أدبًا يتعلّق بسمت طالب العلم، سمت طالب العلم وهديه، ومظهره ومخبره في نطقه، وفي عمله، وفي أمره، وفي نهيه له أهمية؛ لأن هذا العلم العظيم الذي تحمله لا ينبغي أن يشوه بتصرفات لا تليق، فتحمل العلم وتحسن حمله وأدائه والدعوة إليه.

هذا السمت ينبغي أن يُراعيه طالب العلم.

عقد الدارمي -رحمه الله تعالى- في «**سننه**» بابًا، قال فيه: (باب صيانة العلم)، ذكر فيه آثارا عن السلف في صيانة العلم عن ما لا يليق، منها قول علي رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإذا تعلمتموه، فاكظموا عليه، ولا تشبوه بضحك فتمجه القلوب».

مقام العلم والتعلم -**أيها الإخوة**- مقام من مقامات الجدّ، وليس من مقامات الهزل، ولا

من مقامات المزاح.

كان وكيع -رحمه الله تعالى- إذا حضر إلى درس الحديث، كان على طلبته من السكينة، ومن الأدب شيء جلي ظاهر، فإذا رأى منهم أي أمر لا يليق أخذ نعليه وترك المجلس، ولم يحدث ذلك اليوم؛ لأنه يريد أن يعرفوا الأدب مع أحاديث رسول الله ﷺ.

فالمجلس الذي يذكر فيه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ليس مجلس ضحك، وليس مجلس هزل، ومجلس إضحاك للناس، السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم كان عليهم من السمت، والوقار ما كانوا به مدارس تمشي على الأرض رحمهم الله تعالى.

ولهذا قال الشاعر:

ولو إن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظم

فإذا صمت العلم، ورفعته عن مطامع الدنيا، ورفعته عن الألفاظ التي لا تليق، وعظمته في النفوس عظمه الناس، وإذا نزلت به وتسفلت به، وجعلته موضعًا للهزل والضحك، تجرأ الناس، ولم يفرقوا بين مجلس العلم ومجالس اللهو والضحك.

فالواجب على طلبة العلم: أن يكون لهم سمتهم، وهديهم، حتى كان الأوزاعي رحمه الله يقول: كنا نضحك، ونتمازح، حتى اقتدي بنا، فخشينا: ألَّا يسعنا التبسم، يقول: إذا كنت في موضع قدوة، لا تستطيع أن تفعل أمورا كنت تفعلها قبل أن يقتدى بك، فالمزاح والضحك العالي، ونحو ذلك، المزاح الذي لا يليق، هذا ينبغي أن يترفع عنه طالب العلم حتى لا يسفل من العلم، وينزل من قيمته.

فإن قلت: إن النّبي ﷺ كان يمزح، وكان يتبسم؟

فالجواب أن يقال: ليس المقصود بلزوم طالب العلم للسمت وللوقار وللهدي، ألا يمزح، ولكن المقصود: أن يعرف التفريق بين المواضع التي فيها الجد، وبين المواضع التي هي محل المزاح.

فعلى سبيل المثال: إذا تكلمت عن اليوم الآخر، وما يكون فيه من الأهوال من تطاير الصحف، وبدو العورات، وظهور المخازي -والعياذ بالله- التي كانت مستورة ودنو الشمس، حتى تكون مقدار ميل، وكون العرق يسيخ حتى يصل في الأرض سبعين ذراعا، والناس في العرق على قدر أعمالهم، منهم من يكون العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، هل هذا الموضع موضع مزح؟ هل هو موضع من المواضع التي يُلقى فيها طرائف؟ الموضع موضع جد.

وهكذا إذا تكلمت عن الذود عن أصحاب النّبي ﷺ، ورضي الله عنهم والرد على أعدائهم ونقض شبههم، هل هذا موضع للمزاح وللهزل؟

إذا تكلمت عن عظمة الله، وقدرته، ومشيئته النافذة وأنه ما من شيء يشاؤه إلا ويكون، هل هذا موضع مزح؟ أو موضع ضحك؟ -معاذ الله-.

المقصود: ألَّا يخلط العلم، ويخلط تعلمه أو أداؤه بأنواع تسفل من مقدار العلم، أما المزاح من حيث هو فلا إشكال، إذا كان وفق الضابط الشرعي، فقد كان أعظم الناس هديا وسمتا، رسول الله ﷺ، كان يمزح عليه الصلاة والسلام، وكان يتبسم صلوات الله وسلامه عليه، لكن في المواضع، التي هي موضعٌ للمزاح، وموضعٌ للتبسم، وليست في المواضع التي هي موضع للجد، فكان ﷺ إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته، كأنه من منذر جيش يقول: «**صَبَّحَكُم وَمَسَّاكم**»، فلم يكن على المنبر يمزح عليه الصلاة والسلام، ولم يكن عند ذكر اليوم الآخر، وما فيه من الأهوال، يضحك ويمزح، إنما كان عليه الصلاة والسلام، وكل عاقل يعي الأمور يعلم أن للمزاح موضعا، وأن للجد موضعا، والغلط الكبير بأن يجعل موضع الجد محلًّا للمزاح، فهنا يسفل العلم، يسفل إلى السفول وينزل في أعين الناس، ولا يتهيبونه، ولا يرونه شيئا. فالفرق كبير.

أما المزاح من حيث هو؛ فلا إشكال فيه إذا كان بضوابطه الشرعية، وليس المقصود بسمت

طالب العلم، أن يلزم الجد في حياته، وألا يبدو منه البسمة، وألَّا يبدو منه الموضع الذي فيه شيءٌ من الترويح عن النفس.

فقد جاء أن ابن المبارك -رحمه الله تعالى- كان مع بعض أهل العلم قطعا في غير المسجد، وكانوا واقفين في موضع يتكلمون، ويتبسمون فيما بينهم، فمر بهم رجل، قال تضحكون، وأنتم من أهل العلم؟ فقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ نموت غما؟! يقول: تريدنا أن نموت من الغم، نستمر دائما حتى في المواضع التي فيها المزاح، وفيها الترويح عن النفس، تريد الإنسان أن يكون جادا؟! لا.

لهذا كان ﷺ يداعب نساءه، وكان -صلوات الله وسلامه عليه- محبا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جدًّا، وكان يمازحها عليه الصلاة والسلام، ويقول لها الكلمة وترد عليه بالكلمة من المزاح، ولكن المقام ليس مقام نشر للعلم، ولا مقام خطبة جمعة، المقام مقام موضع الإنسان مع إخوته في مجلس من المجالس التي يتحدثون فيها عن أمر من الأمور المعتادة، أو كون الإنسان مع أهله، يمازح أهله، أو مع بعض جيرانه، أو غيره في الطرق في المجالس التي لم تعقد للعلم.

فسمت طالب العلم لا يعني أنه لا يتبسم حياته، أو لا يمزح حياته، هذا لا يقوله أحد من أهل العلم، ولا عاقل يقول هذا الكلام.

لكن المقصود بالسمت ألا تخلط أمور الجد بالهزل، فتجد أن الحاضرين يتضاحكون، كأنهم في مسارح الممثلين أو المهرجين، ليس عندهم درس، هذا ليس درسا، هذا خلط فيه الجد بالهزل، وسفل فيه العلم، لا ينبغي أن يكون هذا من حملة العلم، ينبغي أن يرفعوه، وأن يعظموه في نفوس الناس، لأنك إذا نزلت به قد يبادلك بعضهم لما نزلت بمثلها فتقول: لا يحل لك هذا، لا يصلح لا يليق هذا بالمسجد، أنت الذي فتحت الباب، أنت الذي جعلت الأمر على هذا النحو، ونزلت بهدي العلم وسمته.

فالحاصل: أن من آداب طلبة العلم السمت عند أداء العلم، وعند تلقيه؛ **ولهذا:** روى ابن

أبي حاتم أن الأوزاعي -رحمه الله تعالى- كان إذا تكلّم في القدر أو في اليوم الآخر لا يُجيب سائلًا ولا يقطعُ حديثهُ حتى يُتمّه؛ لشدّة اهتمامه بالأمر؛ لأن موضوع القدر ينبغي أن يُطرح مُتكاملًا حتى لا يُسمع جزءٌ منه وجزءٌ آخر لم يسمع؛ فلا يتضح، -وموضوع اليوم الآخر- من الموضوعات العِظام يقول لا أريد أن يأتي إنسان ليستفتي فيقول: حلفت؛ ما حُكم حلفي؟ لا يُجيب السائل حتى ينتهي، لاهتمامه بالأمر، فينبغي أن يُلاحظ هذا الأمر وأن يكون طالبُ العلم واضعًا للأمور في مواضعها.

ونؤكد على الإخوة بأهمية معرفة سير السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وطريقتهم في طلب العلم، وهديهم، وسمتهم في تلقيه وفي تعلمه وتعليمه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

السائل: يقول اطلب العلم، واقترف بعض الذنوب وأتوب منها، هل يمكن لمثلي أن يصلحوا أن يصلح حاله وينتفع بعلمه؟

الجواب: العلم الذي معك هو العلاج -إن شاء الله تعالى- وسؤالك هذا في ذاته دالٌّ على أن الأمر عندك قد أتعبك وأقلقك، وهذا مكسب؛ فلعل الله تعالى أن ينفعك بعلمك؛ **ولهذا**: أقول لك -ما قلتُ قبل قليل- تأمّل في سير السلف، -**يا إخوة**- سير السلف تتميز بأنها كالجبال الشاهقة، إذا قرأنا فيها عرفنا ضعفنا ووضاعتنا وقلّة حيلتنا، فاقرأ في آثار السلف، وأجلّ من ذلك في هدي رسول الله ﷺ هدي الرسول ﷺ وسلف الأمة، القراءة في هذا الهدي العظيم فيها فائدة كبيرة تُعين الإنسان وتقويه على نفسه بإذن الله عزوجل.

السائل: يسأل عن كثرة الفتور في العلم مع تحصيله كثيرًا من العلم خلال السنوات الماضية، ونفسهُ تُراوده بترك العلم؟

الجواب: لا يطاوع- **يا إخوة**- في هذا، لا يطاوع؛ أرأيت لو كان الإنسان قد دخل في تجارةٍ تدر عليه في الشهر الواحد ملايين الريالات، إذا تركها ما يقول الناس عنه وهذا فرّط، هذا العلم يدر عليك ما الله به عليم من الحسنات، وهذا الفتور من الشيطان الرجيم، ويحرص على أن

يعزلك عن العلم حتى يتفرد بك، ويتمكّن من إيصالك إلى أمور لن تصلها بعلمك؛ فاحرص -وفقك الله- على الاستمرار وتأمّل وتدبر الفضائل العظيمة في وما ذكرناه من الأحاديث في فضل من التمسه والمكانة التي تكون له عند الله.

السائل: يقول نصيحة لمن ضعفت همّته في طلب العلم؛ وهل الأمّة اليوم بحاجة لطلبة علم؟!

الجواب: -كما قلنا لك- ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -روى عنه الدارمي-: «أنه قال لي أحد شباب الأنصار اذهب بنا إلى أصحاب النبي ﷺ نأخذ عنهم العلم؛ فقال الأنصاري: وعجبًا لك يا ابن عباس؛ وترى أنه يُحتاج إليك!! يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فانطلقت أتتبع العلم من أصحاب النّبي ﷺ؛ حتى إني آتي الواحد منهم يبلغني الحديث؛ فأنام في الظهيرة؛ فأنام عند بابه تسفي على الريح بالتراب، فيقوم لصلاة العصر فيراني قد نمتُ بجانب بابه فيقول: يا ابن عمّ رسول الله ألا كنت أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحقُّ أن آتيك؛ ثم يسأله عن الحديث» بعد مُدّةٍ جاء هذا الأنصاري إلى مكة وإذا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حلقةً عظيمة بعد أن مات أصحاب النّبي ﷺ، ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نظر إلى ما سيأتي، الأمة ما إذا وجد أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكبار الصحابة فالحاجة إلى مثل ابن عباس أقل بلا شك؛ لكن هؤلاء لن يبقوا وهكذا علماؤك الآن لن يبقوا.

فالموفق من يتزود من العلم في صغره؛ فإذا احتيج إليه؛ ولهذا جاء عن بعض السلف: «تعلّموا فإن أحدكم لا يدري متى يُحتاج إليه»؛ قد لا يحتج إليك الآن؛ لكن يحتاج إليك فيما بعد -فاستعن بالله وأعلى همتك-.

السائل: يقول من ترك العلم خوفًا أن يكون حجة عليه ويتعلم أصول دينه فقط؟

الجواب: هذا من الشيطان، ولماذا لا يتعلم العلم ليعمل به؟ ما الذي يمنعه؟ ثم إنه إذا تعلم وأراد أن يهرب، لا هرب لأنك تعلّمت عرفت هناك أشياء عرفتها لا بُدّ من أن تُطبّقها؛ ثم

ترك العلم تعمّد الجهل هذا ليس بلائق أن يتعلم العلم ويذوق لذته؛ ثم يهرب؛ بل يستعين بالله ويسأل ربه ويكثر من الإلحاح على رب العالمين بأن يعين على حمل العلم وعلي أن يكون من أهله العاملين.

السائل: يقول هل أقوال الأئمة في أن طلب العلم أفضل من الجهاد؟ المقصود به الجهاد الفرض العين أم فرض الكفاية؟

الجواب: فرض العين يجب، متوجب على الشخص بعينه، هذا ليس له أن يتركهُ، فلا يحل لأحدٍ أن يترك الجهاد الذي هو فرض عين، فرض العين إذا استنفره الأمام، أو حضر الصف، أو دهم العدو بلادك، يكون فرض عين في هذه الحياة، يجب أن تقاتلا.

السائل: يقول إذا طلبت العلم أحيانًا وعلمت بعض المسائل يدخل في نفسي الإعجاب بالنفس.

الجواب: هذا من الأدواء، يتعوذ الإنسان بالله من شر نفسه فإن في الدعاء: «**أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركة**» -جاء هذا عنه عليه الصلاة والسلام- يتعوذ الإنسان بالله من شر نفسه، ومما يعينك على البعد عن الإعجاب بالنفس إذا وجدت شيئًا من المعلومات فقد تكون أنت انفردت بها -يعني في مسألة معينة- ليس المقصود أنك انفردت بها عن العالمين لا أن انفردت بها عن أقرانك المقصود العلم قبلنا موجود؛ لكن إذا وجدت مثل هذه الفائدة فيمكنك أن تذكرها ذكرًا عاديًا لا تُجلب لخيلك ورجلك تقول هذه المسألة غفل الناس، أو تكثر من الكلام؛ ثم حتى يلتفت إليك ثم تطرحها فيمكن أن تطرحها طرحًا عاديًا معتادًا فتمضي هذه المسألة دون أن يتفطن لك، وتحرص على إصلاح النية تحرص، وتحرص على تمحيص القصد لله عَزَّوَجَلَّ، وإن قلت إني أخشى مع ذلك من هذا فيمكن أن تنشر هذه الفائدة دون أن تنسبها لنفسك، يقول الشافعي -رحمه الله تعالى-: «وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليَّ منه شيء»، رحمة الله عليه -يقول أنا أتمنى أن هذا العلم يصل إلى الناس ولا يعرف

أن الشافعي هو الذي ألّفه.

يقول: أنا أريد أن يأتي إلى الأجر ولا يقال إن هذا من علم محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله تعالى-؛ فيمكن أن توصل هذه المعلومة وتنشرها دون أن تذكر أنها منك، تذكرها مثلًا في بعض المواقع الموجودة الآن التي يكون فيها تردد لطلبة العلم؛ فتقول فائدة اذكر هذه الفائدة فتنسب هذه الفائدة مثلا محبّ العلم أو أبي فلان دون أن تُسمي نفسك تصل الفائدة ولا يعرف أنها منك.

السائل: شخص تفرغ للعلم؛ ولكن والداه مُعارضان له ويريدان له الاهتمام بأمور الوظيفة والزواج والمستقبل الدنيوي مع العلم بأنه بأمس الحاجة لعلم كونه في بداية طريق الاستقامة.

الجواب: ما دام له وظيفة فيستطيع -إن شاء الله- أن يجمع بين هذا وهذا، والدروس ولله الحمد دروس العلم الآن من فضل الله ومنّته منها ما هو في الفجر، ومنها ما هو في المغرب، ومنها ما هو بعد العشاء، فأكثر دروس أهل العلم ليست في وقت العمل أصلًا، والدروس التي بعد العصر أيضًا قليلة، فمعظم دروس العلماء الآن وطلبة العلم بعد المغرب؛ وبعد المغرب يستطيع أن يكون قد خرج من عمله واستراح، فيستطيع أن يواصل في عمله مع وجوده في وظيفته، وكذلك بعد العشاء وهكذا الحلقات بعد الفجر، وهكذا في الإجازة لو أمكنه أن يتفرغ لهذه الدروس فيمكن أن يجمع بين هذا وهذا، ويجلب أيضًا بذلك رضا والديه إن شاء الله.

السائل: يقول طلب العلم عن طريق التسجيلات الصوتية أراها طريقة مفيدة وموفرة للوقت والجهد مع أفضلية الحضور المباشر.

الجواب: نعم؛ هي فيها فائدة، لا شك وهي من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ أن تُسجل هذه الحلقات وأن تتمكن وأنت موجود الآن من العلم من اللحاق بعلم رجل قد مات قبلك من سنوات، كون هذه الدروس مسجلة -هذا من نعمة الله-، تعلم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ علم ابن عثيمين علم الشيخ الشنيقيطي -رحمه الله تعالى- ومشايخ كثير لهم تسجيلات موجودة؛ لكن لا يكتفى

بهذا بلا شك، لا يكتفى يعني يجلس إنسان في بيته ويستمع فقط لا لا بُدّ من الحضور لحلقات العلم لكن هذه التسجيلات تزيد الإنسان -إن شاء الله-.

السائل: يقول «**من جهز غازيًا فقد غزا**»؛ هل من كفل طالب علم يكون له أجر؟ أو هذا خاص بالجهاد؟

الجواب: يكون له أجر من يعني أعان طالب علمٍ على علمه؛ لكن أن يقال إن حديث: «من جهز غازيًا فقد غزا» يشمله؟ لا يقال هذا في الغزو في سبيل الله؛ لكن لا شك أنه إذا أعان طالب العلم على علمه فهو على أجر عظيم -إن شاء الله-، وقد ينفع الله بهذا بطالب العلم يعني قد تكفل طالب علم في بعض البلاد الإفريقية، وفي تلك البلاد في أفريقيا وفي آسيا وفي أوروبا أدركنا أناس نُجبا -سبحان الله العظيم-، فيهم فهم وحذق ونباهة شديدة جدًّا؛ فإذا كُفل الواحد منهم وهداه الله للسنة، فعل ما لا يفعلهُ كثير من الناس، فصار يُعلّم ويُدرّس ويردّ على الروافض وعلي المتصوفة وعلي المُنصرين ويُسلم الناس على يديه في عجب، -أنا أذكر- في أحد البلاد الأفريقية أسلم أحد الوثنيين فيها، كُفل من بعض المُحسنين هنا في السعودية، وانطلق في الوثنيين في بلده لأنه منهم، وصار يُسلم منهم أعداد غفيرة جدًّا جدًّا؛ فآتاه الله -ولله الحمد- كان أيضًا على منهج أهل السنة، وكان على دراية بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصار ينقلهم من الوثنية إلى التوحيد الخالص، فنفع الله عَزَّوَجَلَّ به نفع عظيم وأسلم على يديه عدد غفير، والذي كفلهُ لم يُسلم على يديه أحد، ماذا فعل هو؟ هذا الرجل -الشاب هذا- كان وثنيًا؛ فدعاهُ بعض الإخوة طلاب العلم من الأفارقة فأسلم على أيديهم، ثم ما صار فيه من الهمة همة علت على همم الذين دعوه، فكفلهُ هذا الشخص هنا من السعودية فصارت الناس تُسلم على يديه أعدادا غفيرة جدًّا؛ فهذا معنى كونه يكفل مثل هؤلاء، يكون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ له الأجر؛ لأنه سعى في كفالة هذا الرجل وتفرّغ وانطلق هذا الرجل في قومه وهدى الله عَزَّوَجَلَّ على يديه من هدى.

السائل: من طلب العلم ليرفع الجهل عن نفسه فقط يأثم أو لا شيء عليه؟

الجواب: لا يمكن أن يتم هذا؛ لأنه -كما قلنا- إذا رفع الجهل عن نفسه؛ يلزمه أن يرفع عن غيره، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر]، ما انتهت السورة، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ لا بُدّ من هذا، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ كما نبّه الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-: لا بُدّ إذا آمن وعمل أن يدعو غيره، وألا يقتصر على نفسه.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح؛ وأن يجعله حجّةً لنا لا علينا.

-**وأوصى الإخوة**- بالحرص على الاكتساب ما استطاعوا من هذه الدورات الصيفية، وأن يعلموا أمرًا نختصره لهم قبل أن يصلهم ما وصل إلينا من السن، هذه الفترة التي أنتم فيها لا تتكرر؛ ولن تجدوا فيها أبدًا من الفرصة في بقية أعماركم ما وجدتموه الآن؛ كلما كان الإنسان صغيرًا في سنّه كان قليلًا في أعماله، قليل التعلّق بأعباء الأولاد والأهل وتقدّم السن وما قد يصيب الإنسان من أمراض أو نحوه وكثرة أشغال؛ فاحرص على اغتنام هذه الفترة ما استطعت؛ وإن أعانك الله على ما لم يتوفر لنا من حفظ المتون؛ فهذا من أحسن ما يكون، إن استطعت أن تحفظ المتون وأن تشترك في هذه الدروس النافعة وتحرص على الاستفادة والتسجيل والحضور بالكتابة؛ لأن حضورك هكذا بدون تدوين خاصّة في كتب ومتون العلم يضع شيئًا كثيرًا مما سمعته؛ ثم إذا أردت أن تستعيده لم تجده؛ لكن إذا دونته وجدته، قد تجد بعض الفوائد دونتها منذ عشرين أو خمس وعشرين أو ثلاثين سنة؛ فإذا دونتها وجدتها، وإذا كانت كلمةً عابرةً هكذا تبدء تتذكرها كالخاطر الذي مرّ بك ولست منه بمتوثّق؛ فاحرصوا على الكتابة خاصّةً في المتون العلمية التي تشرح المتن الذي أمامك، احرصوا جدًّا على الكتابة.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح؛ وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ألقيت هذه المحاضرة ليلة الخميس السابع والعشرين من شهر رجب سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة النبوية

بجامع العمري، بحي العزيزية، الرياض

حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.